الوارث

٨٨

مجلة شهرية ثقافية دينية
تصدر عن شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية

ذوالقعدة ١٤٣٧-اغسطس ٢٠١٦



إقرأ في هذا العدد

- مواقف جيش الإمام علي عليه السلام.
- من وصايا الإمام الجواد عليه السلام.
- فلسفة الصلاة على النبي وآله الطاهرين عليهم السلام.
- العرب والعراقيون عند أمير المؤمنين عليه السلام.

بسم الله الرحمن الرحيم

الإشراف العام / رئيس التحرير

الشيخ علي الفتلاوي

سكرتير التحرير

محمد رزاق صالح

هيأة التحرير

السيد صفوان جمال الدين

الشيخ محمد فاضل محمد

التدقيق اللغوي

أ.خالد جواد العلواني

التصميم والإخراج الفني

السيد علي ماميثة

إصدار قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق - وزارة الثقافة لسنة ٢٠٠٩-١٢١١

هاتف: ٣٢٦٤٩٩ - بدالة: ٣٢١٧٧٦ - داخلي: ٢٤٢

موقع العتبة www.imamhussain.org

موقع القسم www.imamhussain-lib.org

بريد القسم info@imamhussain-lib.org



الإمام المظلوم

عندما رحل الإمام الرضا عليه السلام عن هذه الدنيا أطبقت الحيرة على غالبية الشيعة وأخذهم الذهول، فمن هو الإمام الذي سيرجعون إليه؟

على الرغم من أنهم سمعوا تكريم الرضا لابنه الجواد عليهما السلام ولكن الجواد ما يزال في سن السابعة أو الثامنة من عمره، فهو صبي على كل حال في نظر الناس ولم تمر الحالة الشيعية بمثل هذا المنعطف بل لم تمر الأمة الإسلامية بمثل هذا الإمتحان، فكيف ستنصاع رجالات الأمة وأفذاذها وعلماؤها لصبي صغير.

إن الذي مرّت به هذه الأمة كالذي حدث في بني إسرائيل عندما بعث الله تعالى إليهم عيسى ابن مريم يكلّمهم في المهد وكما بعث إليهم يحيى فأعطاه الحكم والكتاب وهو صبي (وآتيناه الحكم صبيا) فافترقت بنو إسرائيل في عيسى فرقاً، منهم من آمن به ومنهم من كذبه وكان السبب في مطاردته، وبعضهم غالى فيه، وهكذا الحال في يحيى، والأمر نفسه حصل في إمامنا الجواد عليه السلام.

فالمسلمون لأول مرة يمرون بهذا الوضع، فإن أغلبهم لم يتصور أن يكون حجة الله صبياً، فاجتمع كبار الشيعة منم الريان بن الصلت ويونس بن عبد الرحمن وصفوان بن يحيى وآخرون وخاضوا في الكلام حول المأزق الذي يمرون به حتى بكى بعضهم لشدة الحيرة.

فقال يونس: دعوا البكاء حتى يكبر هذا الصبي.

فقال الريان بن الصلت: إن كان أمر من الله جل وعلا فابن يومين مثل ابن مائة سنة وإن لم يكن من عند الله فلو عمر الواحد من الناس خمسة آلاف سنة ما كان يأتي بمثل ما يأتي به السادة أو بعضه، وهذا مما ينبغي أن ينظر فيه.

لقد فاق الإمام الجواد عليه السلام كل علماء زمانه مع صغر سنه، حتى أنّه قد أدهش في حكمته وعلمه الحاكم العباسي، فقربه إليه لكي يكون تحت أنظاره.

المشرف العام





تفوّق الإسلام على سائر الأديان





الغرض من تفسير النص القرآني هو الوقوف على مراده سبحانه وتعالى في مجالات الحياة كافة وما يتعلق بدنيا الإنسان وآخرته، وعلاقته بربّه عزّ وجل، وكذلك علاقة الناس فيما بينهم، وذلك بواسطة أهل البيت عليهم السلام.

باعتبارهم أبواب العلم، ومعادن حكمة الله، وحفظة سر الله، وحملة كتاب الله، وأوصياء النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وذريته؛ وأنّ تأويل الآيات بيدهم بقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾. (آل عمران:٧)

وأنّ الرسالة السماوية والشريعة المحمدية شاملة لكل الناس والمجتمعات بقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾. (السبأ:٢٨)

فالقرآن الكريم مرجعٌ للأجيال وملجأ للبشرية في جميع العصور قال تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾. (النمل:٨٩)

فمن الأمور المهمة للبشرية هي استنباط الأحكام

الشرعية من النصوص القرآنية، وفقه ما أراده الباري عزّ وجل وقد أرسل سبحانه وتعالى الأنبياء والرسل لبيان وتوضيح هذه الأحكام المتمثلة بالنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة الأطهار من أهل بيته عليهم السلام.

لذلك فإنّ القرآن الكريم كتاب هداية وإرشاد، وإن تحدّث عن ظواهر طبيعية.

فإنّها للوصول إلى عظمة الخالق وقدرته في خلقه للأرض والسماوات والكون وجميع المخلوقات البشرية وغيرها.

فعندما يتأمل المرء في كتاب الله الكريم ويتدبّر عظمة الخالق في بيان خلقه وكيفية دوران هذا الكون يرى أنّ القرآن الكريم معجزة إلهية.

لذا أقبل المسلمون على القرآن الكريم يفهمونه، ويفسرونه لاستنباط الأحكام الشرعية ومعرفة الحلال والحرام.

لأنّ القرآن الكريم هو منهج الحياة وشفاء ورحمة وهدى ونور وسعادة للبشرة كلها لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾. (يونس:٥٧)

فبكتاب الله يتحقق الأمن النفسي والروحي للفرد والمجتمع، لأنّه جمع بين دفتيه كل صنوف الحكمة والعلم، وجميع دروب المثل والأخلاق العليا والأدب.

القرآن معجزة الرسول صلى الله عليه وآله

المعجزة هي كل ما لا يمكن الوصول إليه أو الإتيان بمثله، أو كل أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي، سالم من المعارضة، يظهره الله تعالى على يد نبيّه تأييداً لنبوته، بمعنى أنّها خلاف لما اعتاد عليه الناس وألفوه.

والقرآن الكريم معجزة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، وإعجازه في أسلوبه، ودليل إعجازه كونه تحدى أفصح الخلق، وأقدرها على الكلام وأبلغها منطقاً وأعلاها بياناً، مع كون حروفه وكلماته من جنس كلامهم الذي به يتحاورون، ثم ينادي عليهم ببيان عجزهم إذ قال تعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾. (الإسراء:٨٨)

ولا ريب أنّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أسس تشريعات الدين الإسلامي على الاجتماع، وقد أحصت الشريعة الإلهية كل شأن من شؤون المجتمع، وهي بحد ذاتها معجزة.

وقد تبنّت تشريعات الإسلام تربية الأفراد وتنظيم حياة المجتمع وهدايتها إلى سعادتها الحقيقية، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾. (الحجرات:١٣)

فهذه الرابطة الحقيقية بين الفرد والمجتمع تؤدي إلى رابطة أخرى بحسب ما يمده الأشخاص من وجودهم وآثارهم، فيتكون في المجتمع ما للفرد من الوجود.

لذلك كانت عناية القرآن الكريم فائقة بالمجتمع، بالتركيز على جانب التربية والأخلاق في الفرد؛ لأنّها أصل من الأصول المهمة التي يبتني عليها وجود كل مجتمع.

فالإعجاز التشريعي يشمل كل ما شرعه الله تعالى لعباده، فهو المنهج الذي أراده الله لعباده فليس لمنهج آخر أن يكون أصح من منهج الخالق.

لأنّه تعالى يعلم بعباده ويعلم بمصلحتهم؛ وهذا ما تقر به الفطرة والمنطق.

لقد شرّع أهل البيت عليهم السلام أهم أحكام الدين الإسلامي وشرائعه كالصلاة والصوم والإنفاق والحج والجهاد والتقوى الديني فضلاً عن الحكومة الإسلامية الحافظة لشعائر الدين العامة والخاصة وحدودهما، والدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على أساس الاجتماع.

وذلك من أجل الوصول إلى السعادة الحقيقية، والقرب والمنزلة عند الله تعالى، ولم يخف عليه ما في سريرة الإنسان، وهو ترتيب علاقة الفرد بربّه عزّ وجل، لذلك فالإسلام تفوق في اهتمامه بشأن الاجتماع على سائر الأديان.

بقلم: أ.م.د. حسن كاظم أسد



الإسلام عاد غريباً

مما لا شكّ فيه أنّ الدنيا خلقت لهدف وحكمة وهدفها وحكمتها أسمى من أن تترك حتى يصبح الإعراض عنها هو المسلك الوحيد أو التمسّك بها على حد الإفراط بالآخرة هو المسلك الآخر وكلاهما على خطأ.

وإنّما خلقت من أجل أن يفهم الإنسان وجوده وعلاقته مع ربّه الذي خلقه ومع أقرانه من المخلوقات.

لقد ساد الانحراف الفكري في هذا العصر حتى وصل إلى العقيدة.

وهذا هو ناقوس الخطر، وأغلب المسلمين اليوم لا يفهمون الإسلام ولا يريدون أن يفهموه وإن فهموه فهم يفهمونه على طريقتهم وهواهم.

أصبح الإسلام والدين عند البعض مجرد تقاليد ومراسيم خالية من المحتوى.

إنّ ما دفعني إلى كتابة هذه السطور ما هي إلا المشاركة، وما هي إلاّ محاولة متواضعة لبيان الحالة التي نعيشها وخاصة جيل الشباب الذين يعيشون حالة من التشتّت الفكري والانحراف العقائدي والسلوكي، لما يرونه من الواقع المر لأنّهم يسمعون من المحاضرات ويقرؤون في الكتب شيئاً ويشاهدون واقعاً وسلوكاً آخر في الخارج إلا ما خرج بالدليل.

فيشاهدون الإسلام شيئاً والمسلمين شيئاً آخر ولا يعلمون أين الخلل هل هو في الإسلام وحاشاه أم في المسلمين أنفسهم أم في طريقة إيصال المفاهيم الإسلامية التي ربما تكون قاصرة أو خاطئة.

ونحن إذ نعيش حالة الطوارئ والاضطراب في العالم كما يعبرون في كافة الأصعدة والمجالات.

فلابد أن يدفعنا الشعور بالمسؤولية ونتحرك بكل ما أوتينا من طاقة لإنقاذ أنفسنا ولا نقف مكتوفي الأيدي ومكبلي الأرجل ومتفرجين على ما يحدث بأنفسنا وشبابنا وبناتنا.

لأننا لا نعيش في غابة كالوحوش ليس لأحدنا علاقة بالآخر وإنّما نحن كتلة واحدة يرتبط مصير بعضنا بمصير الآخر، فإذا قصّرنا في واجباتنا وتخلينا عن مسؤولياتنا وحدث ما لا يحمد عقباه فلن ينفعنا عض أصابع الندم

حينها لأنّ السفينة سوف تغرق بجميع ركابها.

فلابد أن يكون لكل واحد منّا شعورٌ وجدانيٌ وإنسانٌ قبل أن يكون دينياً، وإن كان الشعور الديني هو الأساس في الحياة.

الإسلام والمسلمون

ما أوشح الإسلام بين أهله وما أوسع المسافة بينه وبينهم رغم قربه منهم وما أكثر ممن لا يعرف من الإسلام إلا اسمه وهذا ما يوخز في الأحشاء ويعتصر له القلب ألماً.

لقد قال رسول الإنسانية الخالد الرسول الأكرم محمد ابن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل أكثر من أربعة عشر قرناً «لقد بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء». (بحار الأنوار: ٣٦/٢٥)

ما أعجب هذا الحديث الشريف ولكن يا ترى ماذا يقصد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من هذه الغربة؟

لو ألقينا نظرة تفحّصية شاملة حول العالم الغربي والعالم العربي الإسلامي لوجدنا جواباً شافياً لهذا التساؤل، والصورة واضحة لا تحتاج إلى تعليق فالإسلام شيء والمسلمون شيء آخر والغربة واضحة عليه وعليهم، فأغلب المسلمين غرباء أو مشردون في داخل أوطانهم فمن صبر منهم نعتوه ولقبوه بالزاهد المتصنع ومن انتفض وطالب بحقه يسمّونه بمثير الفتن فتلاحظ حالة الحرمان والفقر يعيشها المسلمون، وإن كانوا يعيشون في أغنى الدول.

وذلك كله بسبب التفرقة بين المسلمين أو بسبب تسلط الظالمين أو إدارة من ليس له أهلية بتسنم منصب القيادة، إما لجهله أو لعدم كفاءته فيتسبب أو يسبب بجر البلاد والعباد نحو الخراب والدمار.

والشعوب قد جربت كل الأنظمة وكل القوانين الوضعية فلم تجد لها دواءً ناجعاً لعلتها وحرمانها وحلاً لمشاكلها المتزايدة يوماً بعد يوم رغم الشعارات البراقة واللافتات المرفوعة بيد من يدعي الجهاد والنضال وتحقيق العدالة.

لقد أصاب الشعوب اليأس من جميع ما حولها فيا أيتها السماء امطري علينا مزن الرحمة وأغيثينا بنفحات الفرج.

ووصل الأمر نتيجة انتشار وكثرة المشاكل بين المسلمين إلى أن يتطاول ويتجاسر من نبذته الأرض على شخص الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم الذي يمثّل حلقة الوصل بين السماء والأرض والمقدس عند كل المسلمين.

وعندما جاء بالرسالة السماوية جهله قومه وتطاولوا عليه والآن كأن التاريخ يعيد نفسه فنلاحظ الهجمة الإعلامية على رسول السماء كأن الجاهلية بدأت ترفع رايتها من جديد.

وهذا كله جاء نتيجة التكلم والتطاول والتجاسر على العلماء ومراجع الدين من قبل الذين يسمون أنفسهم مسلمين.

الإسلام الحقيقي والإسلام المقنّع

إنّ من أهم الأسباب التي جعلت شبابنا ينفرون من الإسلام ويتنكرون لدينهم هو الواقع المزيّف والإسلام المقنّع الذي يعيشونه في كل مكان.

فالشباب يفتحون أعينهم على مجمع متخلف في معاملاته وإن دخله عالم الانترنت والحاسوب وغيرهما وتسوده الأنانية والطبقية والحزبية والمحسوبية والظلم والكبت والحرمان وغير ذلك، ويرون أن كل هذا يمارس باسم الإسلام وبلباس الدين.

فالحاكم ظالم فاجر ويحكم باسم الإسلام والنظام الوضعي السيئ واضعاً عليه مسحة إسلامية ليخدع به السذّج، وبعض العقول والأفكار تمارس دور العلماء وهي أبعد عن العلم وأهله.

وهناك الأفكار السلبية والروح الانهزامية تطرح وتعرض على الناس كمفاهيم إسلامية، فما دام الإسلام يعرض بهذا الشكل وبهذه الصورة والدعاية للإسلام بإعلام ضعيف أو محدود بيد المسلمين وقوة الدعاية المضادة فكيف يكون الموقف من الإسلام.

ومن أراد أن يتصرف من المسلمين بحسن النية يستغله بعض ضعاف النفوس لأنّهم يأمنون جانب الشر منه فيتصرفون معه بكل وحشية وصلافة ويصورون أنفسهم أنهم أقوياء وعلى حق وخصمهم على باطل.

فمتى ينتبه المسلمون إلى الخطر المحدق بهم ألا يكفيهم ما حصل وماذا حصدوا من الخلافات والنزاعات غير الخراب والدمار والهزيمة والضعف أمام أعدائهم.

بقلم: حسين عبيد القريشي



عجز البشر عن الإتيان بمثل القرآن

إنّ القرآن الكريم ببلاغته وفصاحته جاء معجزة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله لإثبات نبوّته.

وأنّ المعجز هو ما عجز البشر عن الإتيان بمثله ويكون للنبي المرسل من قبل الله تعالى لإثبات نبوته ورسالته للبشر.

فقد أثبت القرآن الكريم عجز البشر عن الإتيان بمثله في جميع الأمور الغيبية فضلاً عن العلوم المخزونة في كتاب الله تعالى.

وقد عرّف اللّغويّون المعجزة كالآتي:

قيل: العَجُز بضَمّ الجيم: مؤخر الشيء، وجمعه: أعجاز، والعجز الضّعف، وأعجزه الشيء: فاته، وعجزته تعجيزاً: ثبطته، ونسبته إلى العجز. (الصحاح:٢١٨)

والعجز: أصله التأخّر عن الشيء، وحصوله عند عجز الأمر، أي: مؤخره، وسار في التعارف اسماً للقصور عن فعل الشيء، وهو ضد القدرة. (مفردات غريب القرآن:٣٢٢)

وأعجزته وعاجزته، وجعلته عاجزاً، وقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾. (الحج:٥)

فالشريعة الإلهية بيّنت عجز البشر عن فعل أي شيء، فضلاً عن الإتيان بأعظم كتاب للتشريع ألا وهو القرآن الكريم.

فقد عرّف اللّغويّون الشرع بأنّه: نهج الطريق الواضح، يقال: شرعت له طريقاً، والشرع مصدر، ثم جعل اسماً للطريق النهج، فقيل له: شرع، وشرع وشريعة، واستعبر ذلك للطريقة الإلهية. (مفردات غريب القرآن:٢٥٨)

وهو مورد الماء الذي يقصد للشرب، ثم استعملها العرب في الطريقة المستقيمة، وذلك من حيث إن الماء سبيل الحياة والسلامة، ومثل ذلك أيضاً الطريقة المستقيمة، التي تهدي النفوس فتحييها. (تاريخ التشريع الإسلامي لمناع القطان:١٣)

فالإعجاز التشريعي: هو إثبات عجز البشر جميعاً عن الإتيان بمثل ما جاء به القرآن الكريم من تشريعات وأحكام، تتعلق بالفرد أو الأسرة أو المجتمع في كافة المجالات، الدينية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية وغير ذلك، وهو ليس مجرد إثبات الإعجاز، وإنما المراد منه إثبات صدق النبي صلى الله عليه وآله وبيان كونه القرآن عند الله عزّ وجل.

لكل نبي معجزة يتحدى بها قومه، فإنّه أسرع للتصديق وأقوم للحجة، والقرآن الكريم معجزة نبيّنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو معجزة في كلّ وجه من الوجوه؛ في حركاته وحروفه، في كلماته وآياته وسوره، في صياغته وبلاغته ونظمه، في تراكيبه ومضمونه، في كيفية استخدامه للألفاظ الخاصة في محلها المناسب والتغيير في الكلمات المترادفة والمتضادة، فضلاً عن أنّه معجزة فيما أخبر وفيما أنبأ من أحوال الأقوام السابقين، وفيما أمر ونهى لا في عصر

دون غيره فهو مستمر إلى يوم يبعثون.

فمما لا شك إذاً إعجاز القرآن الكريم في تشريعه للأحكام وصلاحياته لكل زمان ومكان، وما أحدثه القرآن الكريم بالأعراف والتقاليد من تغيير جذري في حياة أمة بدوية جاهلة بجميع أمور حياتها أمية، فجعل منها أمّة قائدة ورائدة للبشرية، فقد اهتدوا بهدي القرآن ونشروا الدين الإسلامي بمعونة إعجازه.

ولا يخفى على أصحاب العلم أنّ لولا وجود شخص الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الطيبين الطاهرين عليهم السلام لما عرفنا من هذا الكتاب الكريم النازل على قلب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قيد أنملة.

فأهل البيت عليهم السلام هم الذين فسّروا آياته وبيّنوا أحكامه وكيفية التعامل مع وصاياه وأوامره ونواهيه وإخباره عن الماضين وغير ذلك.

فهو معجزة خالدة باقية إلى يوم القيامة، وذلك لأنّه المنزل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقد تحدى به البشر إلى يوم الدين وقيام الساعة فضلاً عن أنّه معجزة خاتم الرسل فهو خاتم المعاجز.

وهو المصدر الأول للإسلام وأقدس كتاب لدى المسلمين كما أنّه خاتم الكتب السماوية وبه ثبتت نبوة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وبه تقوم الحجة على الناس جميعاً إلى يوم القيامة بالتزام الإسلام ديناً؛ فهو المصدر القطعي الثبوت بإجماع المسلمين لم تمتد إليه يد التحريف والزيادة أو النقصان.

أما القرآن الكريم بمفرده لا يجزي في بعض التشريعات الإلهية لولا وجود أهل البيت عليهم السلام في بيان تفسير كلام الله المجيد.

فقد ربط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين القرآن الكريم وأهل البيت عليهم السلام، وبيّن أنّهما متلازمان، ولا يفترقان إلى يوم القيامة، فهذا صريح بأنّ للقرآن تفسيراً ومفسرين، لأنّ فيه علوماً مخزونة، ولا يعلم تأويله وتفسيره إلاّ الله والراسخون في العلم الذي هم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الكرام عليهم السلام.

فهذا الترابط بين القرآن وأهل البيت عليهم السلام ناشئ من منزلتهم ومقامهم العالي الذي خصّهم الله بها وقد أوجب طاعتهم بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾.(النساء:٥٩)

فإطاعة المعصوم هي إطاعة الله، فضلاً عن أنّ المعصوم له ارتباط مباشر مع الله تعالى فلا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى.

فإمام الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الأطهار عليهم السلام بالقرآن الكريم لارتباطهم مع الله تعالى، جعل تأويل آيات كتابه المجيد بيدهم، كما نقرأ في مقدمة دعاء الجامعة الكبيرة: « السلام عليكم يا أهل بيت النبوة وموضع الرسالة ومختلف الملائكة ومهبط الوحي ومعدن الرحمة وخزان العلم ومنتهى الحلم وأصول الكرم وقادة الأمم وأولياء النعم وعناصر الأبرار ودعائم الأخيار وساسة العباد وأركان البلاد وأبواب الإيمان وأمناء الرحمن وسلالة النبيين وصفوة المرسلين وعترة خيرة رب العالمين».

فقد خصّهم الله تعالى لهداية الناس وإرشادهم إلى الفوز والصلاح.

فإذا كانت الكتب السماوية تنزل على الأنبياء في وقت معين ولزمان معين ومحدد، فالقرآن الكريم جاء في زمن محدد أيضاً لكن لكل الأزمان والعصور، ولكل الطوائف؛ فضلاً عن إخباره أحوال الماضين وقصصهم.

فقد مزّق حجب الغيب الثلاثة: حجاب الزمن الماضي، وحجاب الحاضر، وحجاب المستقبل؛ بل إنّه دخل إلى داخل النفس البشرية، ليظهر ما يخبئه الإنسان، ولا يبوح به، ولا يعلمه إلا الله.(معجزة القرآن للشعراوي:٤/١)

فقد وُصِفَ القرآن الكريم من قبل أهل البيت عليهم السلام بأفضل وصف، فقال النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم في وصف القرآن الكريم: «إنّه شَافِعٌ مُشَفَّعٌ وَمَاحِلٌ مُصَدَّقٌ، وَمَنْ جَعَلَهُ أَمَامَهُ قَادَهُ إِلَى الْجَنَّة، وَمَنْ جَعَلَهُ خَلْفَهُ سَاقَهُ إِلَى النَّار، وَهُوَ الدَّلِيلُ يَدُلُّ عَلَى خَيْرِ سَبِيل، وَهُوَ كِتَابٌ فِيه تَفْصِيلٌ وَبَيَانٌ وَتَحْصِيلٌ، وَهُوَ الْفَصْلُ لَيْسَ بِالْهَزْلِ، وَلَهُ ظَهْرٌ وَبَطْنٌ، فَظَاهِرُهُ حُكْمٌ وَبَاطِنُهُ عِلْمٌ، ظَاهِرُهُ أَنِيقٌ وَبَاطِنُهُ عَمِيقٌ، لَهُ نُجُومٌ وَعَلَى نُجُومِه نُجُومٌ؛ لا تُحْصَى عَجَائِبُهُ وَلا تُبْلَى غَرَائِبُهُ، فِيه مَصَابِيحُ الْهُدَى، وَمَنَارُ الْحِكْمَة، وَدَلِيلٌ عَلَى الْمَعْرِفَة لِمَنْ عَرَفَ الصِّفَةَ، فَلْيَجْلُ جَالٍ بَصَرَهُ، وَلْيُبْلِغِ الصِّفَةَ نَظَرَهُ يَنْجُ مِنْ عَطَب، وَيَتَخَلَّصْ مِنْ نَشَب، فَإِنَّ التَّفَكُّرَ حَيَاةُ قَلْبِ الْبَصِيرِ كَمَا يَمْشِي الْمُسْتَنِيرُ فِي الظُّلُمَاتِ بِالنُّورِ».(الكافي:٢/٥٩٩، ح١)

بقلم: حسن كاظم أسد



مواقف جيش علي عليه السلام مع أميره

وقال (عليه السلام) في الخطبة رقم [٢٩] بترقيم المعجم: «أيها الناس المجتمعة أبدانهم، المختلفة أهواؤهم، كلامكم يوهي الصم الصلاب، وفعلكم يطمع فيكم الأعداء». (الفتوح لابن أعثم:٤/١٠٠)

وقال (عليه السلام) في الخطبة رقم [٣٩] من نهج البلاغة بترقيم المعجم: «منيت بمن لا يطيع إذا أمرت، ولا يجيب إذا دعوت لا أبا لكم ما تنتظرون بنصركم ربكم؟! أما دين يجمعكم؟ ولا حمية تحمشكم؟ أقوم فيكم مستصرخاً، أناديكم متغوثاً، فلا تسمعون لي قولاً، ولا تطيعون لي أمراً، حتى تكشف الأمور عن عواقب المساءة...». (نهج البلاغة:١/٨٦)

وقال (عليه السلام) في الخطبة رقم [١٠٦] بترقيم المعجم: «وقد ترون عهود الله منقوضة فلا تغضبون وأنتم لنقض ذمم آبائكم تأنفون؛ وكانت أمور الله عليكم ترد، وعنكم تصدر، وإليكم ترجع....».

وقال (عليه السلام): «إنكم - والله - لكثير في الباحات، قليل تحت الرايات؛ وإني لعالم بما يصلحكم ويقيم أودكم، ولكني والله لا أرى إصلاحكم بإفساد نفسي؛ أضرع الله خدودكم، وأتعس جدودكم؛ لا تعرفون الحق كمعرفتكم الباطل، ولا تبطلون الباطل كإبطالكم الحق». (شرح نهج البلاغة للمعتزلي:٦/١٠٢)

وقال (عليه السلام) في الخطبة رقم [٩٧] بترقيم المعجم: «أيها القوم الشاهدة أبدانهم، الغائبة عنهم عقولهم، المختلفة أهواؤهم، المبتلى بهم أمراؤهم، صاحبكم يطيع الله وأنتم تعصونه، وصاحب أهل الشام يعصي الله وهم يطيعونه، لوددت والله أن معاوية صارفني بكم صرف الدينار بالدرهم، فأخذ مني عشرة منكم وأعطاني واحداً منهم».

قال (عليه السلام) في نهج البلاغة الخطبة رقم [٢٥] بترقيم المعجم المفهرس للدشتي: «.. إني والله، لأظن: أن هؤلاء القوم سيدالون منكم، باجتماعهم على باطلهم، وتفرقكم عن حقكم، وبمعصيتكم إمامكم في الحق، وطاعتهم إمامهم في الباطل، وبأدائهم الأمانة إلى

صاحبهم، وخيانتكم، وبصلاحهم في بلادهم وفسادكم؛ فلو ائتمنت أحدكم على قعب لخشيت أن يذهب بعلاقته. اللهم إني قد مللتهم وملوني؛ وسئمتهم وسئموني، فأبدلني بهم خيراً منهم، وأبدلهم بي شراً مني».(شرح نهج البلاغة للمعتزلي:١/٣٣٢)

وقال (عليه السلام): «إذا دعوتكم إلى جهاد عدوكم دارت أعينكم، كأنكم من الموت في غمرة، ومن الذهول في سكرة؛ يرتج عليكم حواري فتعمهون؛ فكأن قلوبكم مألوسة فأنتم لا تعقلون؛ ما أنتم لي بثقة سجيس الليالي، وما أنتم بركن يمال بكم، ولا زوافر عز يفتقر إليكم؛ ما أنتم إلا كإبل ضل رعاتها، فكلما جمعت من جانب انتشرت من آخر».(نهج البلاغة:١/٧٨)

وقال (عليه السلام) في نهج البلاغة الخطبة [١٠٨] بترقيم المعجم المفهرس للدشتي: «ما لي أرى أشباحاً بلا أرواح، وأرواحاً بلا أشباح، ونسّاكاً بلا صلاح، وتجاراً بلا أرباح، وأيقاظاً نوماً، وشهوداً غيباً، وناظرة عمياء، وسامعة صماء، وناطقة بكماء».

نستخلص من كلمات أمير المؤمنين علي عليه السلام المتقدمة أموراً كثيرة، ونستطيع أن نجملها على النحو التالي:

أولاً: بالنسبة إلى إمامهم، وتعاملهم معه

١. إنهم يعصونه في الحق، ولا يطيعونه إذا أمرهم أو دعاهم، ولا يسمعون قوله، ولا يجيبون صرخته، واستغاثته... حسب التعبيرات المختلفة التي وردت عنه (عليه السلام) في مواقف كثيرة.

٢. إنهم قد ملوا قائدهم، وإمامهم وسئموه.

٣. إنهم يصدرون الأوامر والنواهي لأميرهم.

ثانياً: بالنسبة لأمر الجهاد

١. قد أصبحوا غرضاً يرمى، يغار عليهم، ولا يغيرون، ويُغزَوْنَ، ولا يغزون، كثير في الباحات قليل تحت الرايات.

٢. إذا أمروا بالجهاد، يتعللون بالمعاذير، بالحر تارة، وبالبرد أخرى.

٣. إنهم يصابون - إذا أمروا بالنفر إلى الجهاد - بالذعر والخوف.

٤. كلامهم يوهي الصم الصلاب، وفعلهم يطمع فيهم الأعداء.

٥. يؤثرون البقاء على لقاء الله والجهاد في سبيله.

٦. إن حوربوا خاروا وإن أمهلوا خاضوا.

ثالثاً: بالنسبة إلى حالتهم مع بعضهم البعض

١. متفرقون عن حقهم.

٢. إن أمهلوا خاضوا.

٣. أهواؤهم مختلفة.

٤. هم كإبل ضل رعاتها، كلما جمعت من جانب انتشرت من آخر.

٥. صاروا بعد الموالاة أحزاباً، حيث يظهر: أن المقصود هو أنهم أصبحوا شيعاً وأحزاباً متدابرين، بعد أن كانوا يداً واحدة يوالي ويحب بعضهم بعضاً.

رابعاً: بالنسبة للدين والتدين

١. يرضون بمعصية الله سبحانه ويرون عهود الله منقوضة ولا يأنفون، ولكنهم يأنفون لنقض ذمم آبائهم.

٢. لا يعرفون الحق كمعرفتهم الباطل، ولا يعرفون من الإيمان إلا اسمه.

٣. لا يبطلون الباطل كإبطالهم الحق.

٤. هم نساك بلا صلاح.

٥. قد ثلموا حصن الله المضروب عليهم بأحكام الجاهلية.

٦. قد قطعوا قيد الإسلام، وعطلوا حدوده، وأماتوا أحكامه.

٧. ما يتعلقون من الإسلام إلا باسمه.

خامساً: حول مقدار وعيهم، وإدراكهم لمقتضيات الحكمة

١. أيقاظ نوّم، وشهود غيب، وناظرون عمي، وسامعون صم، وناطقون بكم، أبدانهم شاهدة، وعقولهم غائبة عنهم.

٢. هم أشباح بلا أرواح، وأرواح بلا أشباح.

٣. كأن عقولهم مألوسة، فهم لا يعقلون.

٤. ليسوا برجال، بل لهم عقول ربات الحجال.

٥. لهم حلوم الأطفال.

ثم إنه بقيت لهم أوصاف أخرى، نجملها على النحو التالي:

١. إنهم يخونون أمانة صاحبهم، حتى لو أؤتمن أحدهم على قعب لخشي (عليه السلام) أن يذهب بعلاقته.

٢. إنهم يفسدون في بلادهم.

٣. ما هم بركن يمال إليه.

٤. ليسوا زوافر عز يفتقر إليهم.

٥. تجار بلا أرباح.

٦. صاروا بعد الهجرة أعراباً.

ولعل مراجعة وافية لكلماته صلوات الله وسلامه عليه تعطينا المزيد مما يوضح حقيقة حالهم، وما آل إليه أمرهم.

بقلم: السيد جعفر مرتضى العاملي

الإمام الهادي عليه السلام في سامراء

عاش الإمام علي الهادي عليه السلام معظم حياته في سرّ من رأى، وقد فرضت عليه السلطة العبّاسيّة الإقامة الجبرية فيها، فكان شبيهاً بالمعتقل، فقد أحاطت بداره مباحث الأمن العبّاسي وهي ترصد جميع تحرّكاته، وتراقب كلّ مَن يتّصل به، أو يحمل له المال، وقد عانى الإمام من الضغط السياسي أشدّ ما تكون المعاناة أيّام الطاغية المتوكّل العبّاسي الذي لم يألُ جهداً في ظلم العلويّين والتنكيل بهم، وقد كابدوا في عهده الأسود صنوفاً مرهقة من الكوارث والخطوب.

لقد كان الإمام أبو الحسن عليه السلام مقيماً في يثرب التي هي مسقط رأسه، وبلد آبائه، وقد احتفّ به العلماء والفقهاء والرواة، فكانوا ينتهلون من نمير علومه التي استمدّها من آبائه الذين أضاءوا حياة الإنسان بنور العلم والإيمان، وكما كان مصدراً خصباً للحياة الفكرية والعلمية في يثرب.

فلم يقتصر الإمام على برّه وإحسانه إلى أهالي يثرب، وإنّما شمل جميع مناحي حياتهم، فكان يواسيهم في السرّاء والضرّاء، ويعود مرضاهم، ويشيّع جنائزهم، ويعطف على الصغير والكبير منهم، ولم يبق لونٌ من ألوان الخير والمعروف إلا أسداه عليهم.

لكن المدينة المنورة لم تخلُ من الحاقدين والظالمين لآل محمد عليهم السلام، فقد حقد على الإمام الهادي عليه السلام بعض من لا حريجة له في الدين، من الممسوخين والحاقدين على ذوي الأنساب الشريفة، فقد ساءهم ما يتمتع به الإمام من الفضائل.

وكان من أشد أعدائه وأخبثهم عبد الله بن محمد، وكان قد أقامه المتوكل من قبله في يثرب والياً على إقامة الصلاة، وسائر الشؤون الحربية.

وكان هذا اللعين يقصد الإمام بالسوء والأذى، وقد سعى به عند المتوكل وكانت سعايته تحمل أموراً خطيرة، وهي:

١. التفاف الجماهير حول الإمام مما يشكل خطراً على الدولة.

٢. ورود الأموال الطائلة إلى الإمام من مختلف أنحاء العالم الإسلامي، ولا يؤمن أن يشتري بها السلاح لمقاومة الدولة العباسية.

٣. إنه لا يؤمن أن يقوم بثورة عارمة للإطاحة بالحكومة العبّاسيّة.



وطلب من المتوكل العباسي المبادرة لإلقاء القبض على الإمام لئلاّ تقوى شوكته، ويعظم أمره، فلا تتمكّن الدولة من مقاومته.

ولما علم الإمام عليه السلام بوشاية هذا اللعين ومؤامرته ضدّه خاف أن يتخذ المتوكل معه الاجراءات القاسية، وذلك لعلمه بانحرافه عن أهل البيت عليهم السلام وشدّة عدائه لهم، فكتب عليه السلام له رسالة يشكو فيها أحقاد عامله عليه، وسوء معاملته له، وقيامه بما يسوءه، كما أحاطه علماً بكذب وشايته، وأنه لا يبغي للمتوكل سوءاً، ولا يرى الخروج على الحكومته.

فأرسل المتوكل إلى الإمام رسالة أجاب فيها عن رسالته، وقد عزل فيها عامله الباغي اللئيم، كما دعا الإمام إلى الحضور في سرّ من رأى للإقامة الجبرية فيها ليكون تحت مراقبته وهذا نص رسالته:

أمّا بعد، فإن الأمير عارف بقدرك، راع للقرابتك، موجب لحقك، مقدر من الأمور فيك وفي أهل بيتك ما يصلح الله به حالك، ويثبّت به عزّك وعزّهم، ويدخل الأمن عليك وعليهم يبتغي رضى ربه، وأداء ما افترض عليه فيك وفيهم.

وقد رأى الأمير صرف عبد الله بن محمد عما كان يتولاه من الحرب والصلاة بمدينة الرسول صلى الله عليه - وآله - وسلم إذا كان على ما ذكرت من جهالته بحقّك، واستخفافه بقدرك، وعندما قرفك به ونسبك إليه من الأمر الذي قد علم

أمير المؤمنين براءتك منه، وصدق نيّتك في برّك وقولك، وإنك لم تؤهّل نفسك لما قرفت بطلبه، وقد ولّى الأمير ما كان يلي من ذلك محمد بن الفضل، وأمره بإكرامك وتبجيلك، والانتهاء إلى أمرك ورأيك، والتقرّب إلى الله وإلى الأمير بذلك، والأمير مشتاق إليك يحب إحداث العهد بك، والنظر إليك، فإن نشطت لزيارته والمقام قبله ما أحببت شخصت ومن اخترت من أهل بيتك ومواليك وحشمك على مهلة وطمأنينة ترحل إذا شئت وتنزل إذا شئت، وتسير كيف شئت.

وإن أحببت أن يكون يحيى بن هرثمة مولى الأمير ومن معه من الجند يرحلون برحلك، ويسيرون بسيرك، فالأمر في ذلك إليك، وقد تقدّمنا إليه بطاعتك، فاستخر الله حتّى توافي الأمير، فما أحد من إخوانه وولده وأهل بيته وخاصّته ألطف منه منزلة، ولا أحمد له إثرة، ولا هو لهم أنظر، ولا عليهم أشفق وبهم أبرّ، وإليهم أسكن منه إليك، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

فسافر يحيى إلى يثرب، وأخذ يجدّ في السير لا يلوي على شيء حتى انتهى إليها، ولما علم المدنيون بمهمته فزعوا أشد ما يكون الفزع، وخافوا عل الإمام من بطش الطاغية به، فقد كانوا يحبّون الإمام أشدّ ما يكون الحبّ، لأنه كان ملازماً لمسجد جده صلى الله عليه وآله وسلم وكان يغذّي علماءهم بعلمه، ويحسن إلى فقرائهم، ولم يكن عنده أي ميل إلى الدنيا.

وقام يحيى بتفتيش دار الإمام الهادي عليه السلام، ففتّشها تفتيشاً دقيقاً، فلم يجد فيها شيئاً سوى المصاحف وكتب الأدعية، وتبيّن له كذب ما نُسب إلى الإمام من أن داره مليئة بالأسلحة والأموال.

وأكره الإمام عليه السلام على مغادرة يثرب والشخوص إلى سامراء، وقد صحبه في سفره أفراد عائلته، وقد قام يحيى بنفسه بخدمة الإمام، وقد أعجب بهديه وورعه وتقواه، وأخذ الركب يطوي البيداء حتى انتهوا إلى بغداد.

ويذكر اليعقوبي أن الإمام لما وصل إلى الياسرية تلقاه إسحاق بن إبراهيم، فرأى تشوق الناس إليه، واجتماعهم لرؤيته، فأقام إلى الليل، ودخل به في الليل، فأقام ببغداد بعض تلك الليلة.

وانطلق يحيى إلى زيارة حاكم بغداد إسحاق بن إبراهيم الظاهري، فأحاطه علماً بالأمر، فقال له إسحاق: إن هذا الرجل يعني الإمام الهادي عليه السلام قد ولده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقد عرفت انحراف المتوكل، فإن بلغته عنه كلمة قتله، ويكون النبي صلى الله عليه وآله خصمك يوم القيامة.

ثم غادروا بغداد واتّجهوا إلى سامرّاء، وحينما انتهوا إليها بادر يحيى بزيارة وصيف التركي، وهو من كبار رجال الدولة، فعرّفه بوصول الإمام عليه السلام معه، فبادر وصيف فحذّره من أن ينقل إلى المتوكل ما يسوء الإمام قائلاً: يا يحيى، والله لئن سقط منه أي من الإمام شعرة لا يطالب بها سواك.



وبهر يحيى من توافق إسحاق ووصيف من التوصية بالإمام عليه السلام، وتأكيدهما على لزوم المحافظة عليه.

وقد أمر المتوكل بإنزال الإمام عليه السلام في خان الصعاليك للحط من شأنه والتقليل من أهمّيّته أمام الرأي العام، وقد زاره صالح بن سعيد، فتألّم وراح يقول: جعلت فداك في كل الأمور أرادوا إطفاء نورك، والتقصير بك حتى أنزلوك هذا الخان الأشنع خان الصعاليك.

فنظر الإمام إليه بعطف ولطف، وشكر عواطفه، وخفّف عليه من الألم والوجد، فأراه المعجز الذي أمدّ الله به أولياءه وأنبياءه، وسكن روع صالح، وذهب ما في نفسه من الحزن.

وبادر يحيى إلى المتوكّل فأخبره بحسن سيرة الإمام وزهده، وأنّه فتّش داره فلم يجد فيها سوى المصاحف وكتب الأدعية، وأنه بريء مما نسب إليه من عزمه على الثورة على حكومته، وقد أزال ما في نفسه من الوجد والنقمة على الإمام، وأمر المتوكّل بإدخاله عليه، ولما مثل عنده قابله بمزيد من الحفاوة والتكريم، وأجزل له الصلة، وألزمه بالإقامة في سرّ من رأى ليكون تحت المراقبة.

ولما فرض المتوكّل الإقامة الجبرية على الإمام بادر فاشترى داراً من دليل بن يعقوب النصراني فسكنها مع أفراد عائلته، وأقام فيها حتى توفّي سلام الله عليه ودفن فيها.

بقلم: الشيخ باقر شريف القرشي رحمه الله

في بيوت أذن اللّه أن ترفع ويذكر فيها اسمه

الطيب لا يعطي إلاّ طيباً.. والكلمة الطيبة ضربها الله مثلاً في كتابه الكريم وشبّهها بشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، تبارك الخلاق، وهذا إشارة على قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾. (إبراهيم: ٢٤-٢٥)

وقد صرّح أهل البيت عليهم السلام في تأويل هذه الآيات المباركات في سورة إبراهيم: أنّها نزلت في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين عليه السلام وسيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام وذريتها الطيبة... . فعن جابر الجعفي قال: سألت أبا جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام عن قول الله عزّ وجل: ﴿ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾، فقال: «أما الشجرة فرسول الله صلى الله عليه وآله وفرعها علي عليه السلام وغصن الشجرة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وثمرها أولادها عليهم السلام وورقها شيعتنا»، ثم قال عليه السلام: «إنّ المؤمن من شيعتنا ليموت فيسقط من الشجرة ورقة وإن المولود من شيعتنا ليولد فتورق الشجرة ورقة». (معاني الأخبار: ٤٠٠)

فأهل بيت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هم الذين قال في حقهم تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾. (الأحزاب:٣٣)

فالقرآن الكريم يصرح تارة ويلوّح تارة أخرى، بمقام هذه الكواكب من الخلق.. الذين جعلهم الله سبحانه مقياساً للحق والعدل والإنسانية وأمرنا بالاقتداء بهم والتمسك بحبل ولايتهم والاعتصام بحبهم أبداً.

فتلك البيوت التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، قال تعالى: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾. (النور:٣٦)

وهي بيوت الأئمة الكرام من آل بيت الرسول المعصومين عليهم السلام وذلك لأنّ فيها رجالاً لا تلهيهم تجارة ولا بيع ولا سلطة ولا جاه ولا مال ولا عيال عن ذكر الله؛ فقال تعالى: ﴿ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾. (النور:٣٧)

حاشاهم أن يلهيهم شيء من الحطام الفاني في هذه الدنيا الدنية عن السمو والتعالي إلى فضاء الرحمانية العالية والاقتراب ما أمكن من ساحة القدس المعظمة في جنب الله سبحانه وتعالى.



ومن هذه البيوت التي كانت تتوارث العلم والأدب والأخلاق والتقوى والزهد والفضائل.. غابراً عن غابر ولاحقاً عن سابق.. يتوارثونها حتى تصل إلى معدنها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومنه إلى الله جل جلاله فقد وصف رسوله الكريم بأنه: ﴿ مَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (٤) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ﴾. (النجم:٣-٥)

فهو بيت الإمام الجواد عليه السلام.

وهذه الوراثة ربانية ودينية بالمقام الأول قبل أي شيء.. فإن الدين هو علة وجود الدنيا وهو غاية خلق الخلق.

الإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام هو وارث هذه الخصال الحميدة وهذه التعاليم الرفيعة.. وبيته من البيوت التي وصفها ربنا عزّ وجل بأوصاف رائعة في أكثر من محل في كتابه الكريم.

فما عساه أن يعطي أبناءه..؟

وكيف له أن يربيهم وينشأهم..؟

فالإمام علي الهادي عليه السلام ولد في بيت الإمامة وأبوه إمام الخلق أجمعين منذ أن كان في السابعة من عمره الشريف.. وهو الذي سلب الشرعية من العباسيين وعلى رأسهم طاغيتهم عبد الله المأمون.. ذاك الذي كان يجمع العلماء والفقهاء وأصحاب الفلسفة والكلام في مجلسه ويرسل إلى الإمام أبي جعفر الجواد عليه السلام ليمتحنه ويختبر علمه على رؤوس الأشهاد وأمام الأعيان والقوّاد حتى يكسر من شأنه وينزل من منزلته - على حسب ظنه الواهي - ولكن هيهات..، فقد كانت تنتهي تلك المجالس والإمام عليه السلام متفوق على جميعهم، مما يسبب اعترافهم بهذا الفضل والتفوق الإلهي.

وقد كان يثبت لهم الإمام الجواد عليه السلام أنه ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ووريثه الشرعي والحقيقي وصاحب المقام الرفيع في الإسلام، ألا وهو الإمام حقاً.

ففي ذلك البيت وفي ذلك العصر العصيب وُلد الإمام علي الهادي عليه السلام، فأخذ أبوه الإمام الجواد عليه السلام بتربيته تربية وتعليماً مكثفاً - إن صحّ التعبير - كما قام والده الإمام الرضا عليه السلام بشأن تربيته هو، وهو يعلم أنه سوف يفارقه في سن مبكرة ويتولى قيادة الأمة في سن الفتوّة وريعان الشباب.

ترعرع الوليد المبارك في ظل أبيه الظليل.. يربيه تربية الرسالة ويعلّمه بتعاليم النبوّة والإمامة.. ويرفع له من مقامه ويصقل له أحاسيسه وينمّي له مداركه بدقّة متناهية وخطوات ثابتة لا تزعزعها العواصف.

وما أن بلغ الثامنة من عمره الشريف وفي أيام الأخيرة من المحرم الحرام استقدم الخليفة العباسي المعتصم بحبل الشيطان، الإمام الجواد عليه السلام من مدينة جده إلى عاصمته بغداد.

فجاء بابنه الحبيب وأجلسه في حجره وأوصاه بوصايا.. وتودّعها.. وذهب الإمام الجواد عليه السلام إلى بغداد ولم يعد، فقد استشهد بسمّ المعتصم اللعين الذي دسّه إليه عن طريق أحد وزرائه الخبثاء.

وأول من شعر بهذه الكارثة التي ألمت بالبيت العلوي الشريف.. وأول من عرف استشهاد الإمام الجواد، ولده علي الهادي عليهما السلام.

بقلم: الشهيد السيد حسن الشيرازي





من وصايا الإمام الجواد عليه السلام

حرص الإمام الجواد عليه السلام على توجيه المسلمين وإرشادهم إلى طريق الخير والصلاح لنيل الفوز في الدنيا والآخرة.

أولاً: طلب العلم

حثّ الإمام الجواد عليه السلام على اكتساب العلم ومجالسة العلماء وبيان فضلهم، فقد روي أنّه عليه السلام قال: «عَلَيْكُمْ بِطَلَبِ الْعِلْمِ فَإِنَّ طَلَبَهُ فَرِيضَةٌ وَهُوَ صِلَةٌ بَيْنَ الإِخْوَانِ وَدَالٌّ عَلَى الْمُرُوءَةِ وَتُحْفَةٌ فِي الْمَجَالِسِ وَصَاحِبٌ فِي السَّفَرِ وَأُنْسٌ فِي الْغُرْبَةِ». (كنز الفوائد:١/٣١٩)

فقد أكّد الإمام عليه السلام على أنّ المؤمن يجب أن يكون محصّناً بالعلم ليكون قادراً على مواجهة الأفكار المنحرفة ومساهماً في بناء المجتمع والوطن.

كما إنّ طلب العلم يؤدي على التواصل مع الإخوان والمؤمنين وتلاقح أفكارهم لبناء بلدهم وتقوية الأواصر وتكوين قاعدة رصينة للدفاع عن المقدسات.

كما أكّد عليه السلام على أنّ طلب العلم هو عامل يبعث على عدم الشعور بالوحدة والاستئناس بالآخرين لأنّ الناس دائماً تقصد العلماء والمتعلمين فيكون الإنسان العالم ذا فائدة لهم.

ثانياً: حسن المعاشرة

لقد حثّ الإمام الجواد عليه السلام الناس على بناء علاقاتهم الاجتماعية وفق ضوابط معيّنة تضمن لهم استمرار العلاقات الطيّبة فيما بينهم فقال عليه السلام: «ثَلَاثُ خِصَالٍ تُجْتَلَبُ بِهِنَّ الْمَحَبَّةُ: الإِنْصَافُ فِي الْمُعَاشَرَةِ، وَالْمُوَاسَاةُ فِي الشِّدَّةِ، وَالإِنْطِوَاعِ وَالرُّجُوعُ عَلَى قَلْبٍ سَلِيمٍ». (بحار الأنوار:٧٥/٨٢)

فقد أعطانا بهذه الكلمات الأسس والقواعد التي نعتمد عليها عند التعامل مع الآخرين لجلب المودة ونشر المحبة في المجتمع أولها الإنصاف وعدم ظلم الآخرين حتى لا يشعر أحدنا بالغبن فتثار حفيظته ويحمل حقداً على الآخر.

كما أنّ مواساة الإخوان ومساعدتهم عند تعرضهم لمكروه سيؤدي إلى تقوية التواد والتراحم بين الناس كما أنّ الانطواء على القلب السليم وحسن السريرة لا يؤدي إلى تمادي صاحب ذلك القلب على الآخرين بالكلام السيئ كالغيبة والنميمة فلا ينتشر الحقد ولا الضغينة بين الناس.

ولذلك قال عليه السلام: «الْجَمَالُ فِي اللِّسَانِ وَالْكَمَالُ فِي الْعَقْلِ». (كنز الفوائد:١/٢٠٠)

وهذا دليل على ضرورة نشر الكلمة الطيبة بالإضافة إلى أهمية حضور العقل الراجح عند حدوث مشكلة مهما كانت صغيرة كي لا تتفاقم تلك المشكلة.

فإنّ حسن المعاشرة متكوّن من مجموعة أمور، وهي أن يكون الإنسان صاحب قلب سليم ويحفظ لسانه وأن يتدبّر فيما أراد أن يقوله، وأن ينصف مع الآخرين في علاقاته سواء الاجتماعية أو غيرها.

ثالثاً: الحثّ على التوبة

لقد أكّد الإمام الجواد عليه السلام على تحصيل التوبة باعتبار أنّ الإنسان غالباً ما يقع في الأخطاء وأنّه غير بعيد عن الذنوب.. فلابد له أن يكون دائماً في طلب التوبة والغفران، وقد بيّن الإمام عليه السلام طرق التوبة فقال: «التَّوْبَةُ عَلَى أَرْبَعَة دَعَائمَ: نَدَم بِالْقَلْبِ وَاسْتِغْفَار بِاللِّسَان وَعَمَلٍ بِالْجَوَارِحِ وَعَزْم أَنْ لاَ يَعُود». (بحار الأنوار:٧٥/٨١)

كما أنّه عليه السلام حذّر من التسويف وطول الأمل قائلاً: «تَأْخِيرُ التَّوْبَة اغْتِرَارٌ، وَطُولُ التَّسْوِيف حَيْرَةٌ، وَالإعْتِلاَلُ عَلَى الله هَلَكَةٌ، وَالإِصْرَارُ عَلَى الذَّنْبِ أَمْنٌ لِمَكرِ الله ﴿ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخاسِرُون ﴾ (الأعراف:٩٧)». (تحف العقول:٤٥٦)

إذا أذنب الإنسان فعليه أن يتوب وقد أسس الإمام الجواد عليه السلام دعائم وقواعد للتوبة.

أن يكون الإنسان قد ندم من فعله الخاطئ وذنبه الذي ارتكبه، فعليه أن يندم من قلبه ويكون منكسراً ومتضرعاً وذليلاً أمام الله تعالى، وأن يبدأ بالاستغفار بلسانه ويكون على دوام الاستغفار في أوقات النهار والليل.

فالاستغفار بحدّ ذاته لا يكفي بل عليه أن يعمل بجوارحه خيراً وأن يحسن فيما بينه وبين ربّه، وأن لا يعود إلى الذنب ثانية؛ فإنّه قد تاب توبة نصوحاً.

وقد حذّر الإمام الجواد عليه السلام من التسويف بالتوبة، وبيّن أنّ تأخير التوبة اغترار، وأنّ الإنسان إذا لم يتب بعد الذنب سريعاً فإنه مغتر، فتأخير التوبة فيها عواقب دنيوية وأخروية، فإنها تحدٍّ أمام الله تعالى.

فإذا لم يتب الإنسان من ذنبه فقد يكون أطال وسوّف في الرجوع إلى الله تعالى فيكون في حيرة دائمة، وهذا يؤدي إلى التجرؤ على الله تعالى والاعتلال مما يؤدي على الهلكة والخسران المبين.

فعدم التوبة يقابله الإصرار على الذنب، وهذا يعني أنّ الإنسان يأمن مكر الله، وأنّه قد يتجرأ أن يتحدى رب العباد وخالق الكون وما فيه.

رابعاً: الصبر على المصائب وتجنّب الظلم

فقد روي عن الإمام الجواد عليه السلام أنّه قال: «يَوْمُ الْعَدْلِ عَلَى الظَّالم أَشَدُّ منْ يَوْمِ الْجَوْرِ عَلَى الْمَظْلُوم». (كشف الغمة:٢/٣٤٨)

فالإمام عليه السلام يؤكّد على أنّ الظالم لابد أن يأتي عليه يوم لا مفر منه فيحاسب فيه حساباً عسيراً من قبل الله تعالى ويكون ذلك اليوم شديداً قاسياً لا تعادل شدته ذلك اليوم الذي تم فيه ظلم الناس وعليه فلابد أن ينتبه الإنسان إلى تعامله مع الآخرين لئلا يظلم أحداً فيكون خصيماً له عند الله عزّ وجل الذي هو أعدل العادلين وأحكم الحاكمين.

كما يوصينا الإمام الجواد عليه السلام بالصبر على المحن والبلاء فإنّ في ذلك صورة من صور محاربة الظالمين إذ إنّ المؤمن المبتلى يمكن أن يقاوم بصبره وعزيمته كل ما يبدر في حقه من الجور.

خامساً: كف الأذى

قال الإمام الجواد عليه السلام: «حَسْبُ الْمَرْءِ مِنْ كَمَالِ الْمُرُوءَة أَنْ لا يُلْقِي أَحَداً بِمَا يَكْرَهُ، وَمِنْ عَقْلِه حُسْنُ رِفْقِه، وَمِنْ حُسْنِ خُلُقِه كَفُّهُ أَذَاهُ، وَمِنْ سَخَائِه بِرُّهُ بِمَنْ يَجِبُ حَقُّهُ عَلَيْه، وَمِنْ كَرَمِه إِيثَارُهُ عَلَى نَفْسِه». (كشف الغمة:٢/٣٤٧)

فقد أكّد الإمام الجواد عليه السلام على أنّ الإنسان إذا ما أراد أن يعيش بسلام بعيداً عن المنغصات فعليه أن يعامل الآخرين بنفس الأسلوب الذي يحب أن يعاملوه به، فلو كان يكره منهم أن يذكروه بسوء فلزاماً عليه عدم اغتياب أحد.

كما أنّ كف الأذى هو مصداق لحسن الخلق وأنّ الأذى قد يأتي من اللسان فعلى الإنسان أن يحافظ على ألفاظه وتصرفاته ويحاسب نفسه دائماً إذا أخطأ بحق أحد وأن يكون كريم الخلق رفيع الأدب سخياً مع من يحب سواء كان من أرحامه أو غريباً عنه.

وأمّا الإيثار فهو عنوان للكرام والجود فيقدمون ما لديهم عند احتياج الناس لهم فقد قال فيهم عزّ وجل: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾. (الحشر: ٩)

فإنّ الإمام الجواد عليه السلام لم يدخر جهداً لنشر الدين المحمدي الأصيل وتصديه للشبهات والانحرافات ومحاربة كل ما يشوه رسالة جدّه المصطفى محمد صلى الله عليه وآله وسلم والتي ظهرت في عصره فكان له باعٌ طويلٌ في الفقه والعقائد والتفسير والأخلاق، وسعى جاهداً لتربية جيل يتحمل أعباء الحركة الفكرية والثقافية للأئمة عليهم السلام وهو جيل يُفتخر به كلما ذُكرت سيرة الإمام الجواد عليه السلام.



العلاقات الاجتماعية في الحياة

من بين العناوين الَّتي اعتبرها الله تعالى من مظاهر الفساد هو (قطع الرّحم).

باعتبار أنَّ الرّحم هو مما أمر الله تعالى به أنْ يوصل.

وهكذا نفهم من سياق الآية الكريمة، أنَّ المفسدين في الأرض، هم الّذين لا يحترمون العلاقات الإنسانيَّة بكلِّ أوضاعها المتَّصلة بتوازن الحياة، لأنّ الحياة تتوازن بتوازن العلاقات الإنسانيَّة، باعتبار أنَّ هذه العلاقات هي الَّتي تنتج للحياة وللإنسان الخير في ما يرتبط بالقضايا الحيويَّة للحياة الإنسانيَّة، ما يجعل من إفساد هذه العلاقات الإنسانيَّة، بقطع الرّوابط بين الناس الذين يرتبطون برابط الرّحم، أو بروابط العقيدة، أو بروابط أخرى عائليَّة، حتى في بعض الحالات من روابط وطنيَّة أو قوميَّة مما يجمع النّاس، وما يلتقون عليه، بقطع النّظر عن طبيعة الخطوط الّتي تحكم هذه العناوين، إفساداً للإنسانيّة.

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ [محمد:٢٢]، إنه يتوجَّه إلى هؤلاء الَّذين يركبون بعض الموجات - كما نعبّر في هذه الأيّام - سواء الاجتماعيّة أو السياسيّة أو الدينيّة، الّتي يثيرون فيها غرائز النّاس، من أجل أن يربحوا عواطفهم ومشاعرهم، من دون أن ترتكز حركتهم على قاعدة من فكر، أو من عقل، أو من إيمان، وذلك بانفتاحهم عاطفيّاً على بعض الشَّخصيّات، سواء الماضية من الشخصيّات التاريخيّة، أو الحاضرة، أو على بعض الشّعارات، أو بعض الأوضاع، ليرفعهم النّاس إلى مواقع السلطة، أو مواقع الوجاهة الاجتماعيَّة، أو المراكز الدينيَّة، مقدّمين أنفسهم إلى النّاس على أنهم حرّاس عقائدهم، وحرّاس مصالحهم، وحرّاس أوطانهم وأديانهم، وما إلى ذلك، مستخدمين كلّ الأساليب الَّتي تهزّ مشاعر النَّاس، فإذا حصل لهم ذلك، وتولّوا أمور النّاس، فإنهم يعملون على أساس إفساد حياتهم، من خلال البرامج الفاسدة الَّتي كانت تحكم أفكارهم، وتوجِّه خططهم، لتلبية أطماعهم أو طموحاتهم في الحياة.

قال تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي

﴿الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾، لأنَّ الأشخاص الَّذين قد يصلون من خلال حركة صراع بينهم وبين الآخرين إلى المواقع العليا، فإنهم يعملون على تمزيق الرّوابط الاجتماعيَّة، ولعلَّ أقرب تلك الرَّوابط الاجتماعيَّة هي ما يتَّصل بالدَّم، فيما يرتبط به الإنسان بالآخرين - بالآباء والأمَّهات - فيحاولون تقطيع هذه الرَّوابط - كما نقرأ في الآية الثَّانية - كنموذج لتقطيع كلّ الرَّوابط الّتي أراد الله تعالى للحياة الإنسانيَّة أنْ تتأكّد فيها، باعتبار أنَّ الله سبحانه وتعالى يريد للمجتمع أن يتحرَّك على أساس الدَّوائر الصَّغيرة الّتي تنفتح على الدَّوائر المتوسّطة، لتنطلق إلى الدّوائر العامّة في مستوى الإنسان، وهذا ما نقرأه في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [ق:١٣].

فالله تعالى لم يلغِ خصوصيّاتنا القبليَّة أو خصوصيّاتنا القوميّة، وحتى خصوصيّاتنا الإقليميَّة واللّونيَّة، وما إلى ذلك، ولكن أراد لهذه الدّوائر - التي تتعنون بهذه الخصوصيّات - أن لا تنغلق على نفسها، بل أراد لكلّ دائرة صغيرة أن تنفتح على الدّائرة الأكبر منها.

حتى تصل إلى الدّائرة الإنسانيَّة العامّة في هذا المجال، وهذا هو (التعارف)، لأنَّ كلّ دائرة من الدوائر، وكلّ قبيلة، وكلّ شعب، وكلّ قوميّة، وكلّ وطن، يختزن في داخله الكثير من التّجارب المعرفيَّة والتّجارب الواقعيَّة، ولذلك، فإنّه عندما ينفتح على الدّائرة الثانية، فإنّ الدّائرة الثانية تنفتح عليه لتأخذ مما يملكه من ثروة التجربة، أو من ثروة المعرفة، أو ما إلى ذلك.

وهكذا تتحرَّك هذه الدّوائر في خصوصيّتها الفكريَّة والعمليَّة، من أجل أن تعطي الدّائرة الأخرى، وبذلك يكون التعارف.

وقد روي عن الإمام علي بن الحسين عليهما السلام وهو يشير إلى هذه الدّوائر، والموقف الشَّرعي السَّلبي أو الإيجابي في التّعامل معها، فقال عليه السلام: «إنَّ العصبيّة الّتي يأثم عليها صاحبها، أن يرى الرّجل شرار قومه خيراً من خيار قوم آخرين، وليس من العصبيَّة أن يحبَّ الرّجل قومه، وإنّما أن يعين قومه على الظّلم»[الكافي:٢/٣٠٩].

فأن تنفتح على قومك، فهذا أمر تفرضه الطبيعة الإنسانيَّة في أنَّ كلّ شكل لشكله ألِف - كما يقولون - ولكن إذا اقتربت قوميَّتك، أو قبليَّتك، أو ما أشبه ذلك من مبادئك، فهنا تقف الدَّائرة القوميَّة والعائليَّة لتتقدَّم المبادئ، كما تشير الآية الكريمة إلى أنَّ تولّي هؤلاء النَّاس الّذين لا يرتكزون على قاعدة من المسؤوليَّة الّتي يعيشها الإنسان أمام الله والنّاس والتّاريخ، يعني أنَّ الإنسان إذا تولّاهم، فإنَّه لا بدَّ من أن يكون المفسد في الأرض، والمقطّع للرّوابط الاجتماعيّة.

وهذا ما نراه في النَّماذج الّتي حدَّثنا الله سبحانه وتعالى عنها، فقال عزّ وجل: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [البقرة:٢٠٤-٢٠٦].

وفي آية أخرى تسير في خطّ هذه الآية الكريمة، وإن كانت أكثر شموليَّة، يقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [الرعد:٢٥].

فهؤلاء ينقضون عهد الله تعالى من بعد ميثاقه، لأنهم ينشئون العقود ثم ينقضونها، سواء العقود مع الأفراد، أو مع الجماعات، وسواء في قضايا ماليَّة، أو في قضايا سياسيَّة أو اجتماعيَّة أو زوجيَّة، وقد عبّر الله عن العلاقة الزوجيّة بين الرّجل والمرأة بأنها ميثاق غليظ.

فقال تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقاً غَلِيظاً﴾ [النساء:٢١].

فاعتبر هذا ميثاقاً غليظاً، تماماً كما هي المواثيق الّتي يعقدها الإنسان أمام الله سبحانه وتعالى مع الآخرين، ﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَن يُوصَلَ﴾، يعني يقطعون كلّ الرّوابط الاجتماعيّة، فقد أمر الله تعالى برابطة الرّحم أن توصل، وهكذا بالنّسبة إلى رابطة الإيمان وغيرهما من الرّوابط الأخرى التي فيها صلاح للبلاد وللعباد.

﴿وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ﴾، من خلال الذّهنيّة العدوانيّة؛ تلك الذهنيّة الّتي تنفتح على الحياة وعلى الإنسان من موقع العقدة السوداء الّتي تحكم نظرته إلى الواقع وإلى المجتمع، لأن هناك بعض الناس الذين يعيشون الذهنيّة العقربية التي تتحرَّك غرائزياً بأن تلسع كلّ من تلتقي به، كما يلسع العقرب كلّ ما يلتقي به حتى الحجر، لأنّ القضيّة إنما تنطلق من حالة غرائزيّة، وليس من حالة فكريّة، ﴿أُوْلَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾، وهذا نموذج من نماذج المفسدين في الأرض في خططهم الّتي يفسدون بها البلاد والعباد.

فقد لعنهم الله وأعد لهم عذاباً مع سوء الدار الآخرة التي سيكونون فيها.

بقلم: جعفر محمدحسين

الأسـرة أسـاس المجتمع

إنّ نظام (التعايش الجماعي)، من الأنظمة الحساسة!! كونها تؤثر وتتأثر في أقرانها من المجموعات الأخرى، فنجد كل مجتمع يخضع لقواعد وقوانين تتناسب مع سلوكيات الأفراد وتختلف عن غيره من المجتمعات.

فالمجتمع العربي مثلاً يختلف في سلوكياته عن المجتمعات الغربية!

وحتى أفراد المجتمع الواحد ذاته نجد طبقات مجتمعه تختلف بحسب الظروف المحيطة به، وكيفية التعايش وممارسة الأعمال والواجبات.

والغرض الأساسي لهذا التعايش هو أن تنشأ حالة من الترابط الاجتماعي والألفة بين أفراد المجتمع الواحد للتعايش السلمي والوصول إلى أفضل مجتمع، وللوصول إلى كرامة أرادها الله تعالى للبشر، وهذا ما يصرح به الكتاب العزيز في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾. (الحجرات:١٣)

وفي ظل هذا التعايش هنالك مؤسسة يقع على عاتقها دور مهم جداً!!

وهو إطلاق الفرد إلى المجتمع متسلّحاً بمبادئها وأساسياتها، ألا وهي (الأسرة)، ليخوض مضمار الحياة، ويمارس واجباته، وسدّ حاجاته الأساسية وغيرها.

فهي الداعم الرئيسي الذي يستمد من خلالها الفرد كل ما يحتاج من موارد الدعم المعنوي والمادي، حتى يتسنّى له مجاراة السلوكيات الأخرى!!

فالأسرة ملاذ الإنسان وقاعدته الأساسية، التي يرتكز عليها في سلوكياته وأساسيات تعاملاته مع نظرائه من الأفراد فينطلق حسب ما ترعرع وتربى على دروس وتوصيات تلك المؤسسة، فتلازمه ملازمة شديدة!!

فهذه المؤسسة هي أساس كل مجتمع لأنّ عليها التربية الصحيحة للفرد ليستطيع التعايش في المجتمع وعليها تعليم كيفية التعايش مع الجماعة، وكيفية التعامل مع الآخرين بكل طوائفها وأخلاقياتها وسلوكياتها.

فهذا التأثير الكبير الذي تقوم به الأسرة في تحديد مدى قوة شخصية الفرد ورصانتها، قد يكون في بعض الأحيان دوراً سلبياً!!

قد يسبب للفرد حالة من الانتكاس والضعف!! من خلال بعض الأمور السلبية التي تطبعها الأسرة على الفرد، بغض النظر عن بعض الخبرات المكتسبة، التي يكتسبها الفرد من خلال التداخل مع السلوكيات الأخرى!

فإنّه يبقى على ما تأسس عليه، وكمثال بسيط على ما تقدّم: (الاتكالية)، حيث تعمد بعض الأسر على تطبيع الفرد على عدم الاعتماد على الذات!!

في تنفيذ المهام، فتقوم العائلة بتنفيذ أبسط متطلباته وحاجياته، وتسديد وإشباع كل رغباته، فلا حاجة للفرد أن يرهق نفسه في تحقيق أبسط الأمور بسبب حالة الاتكال التي رتبتها الأسرة على سلوكه.



بقلم: ميثم الطائي

بقيـة الله الأعـظـم

مازلنا نعيش في عالم يحيط به الضباب كإحاطة الظلام بالقمر إلا أن القمر انتصر على كل الظلام وأما نحن فقد أصبحنا غيوم لذلك الضباب!!!!

نعم أنه عالم الوهم والخيال الذي نحن نعيش فيه حيث الموتى المرضيون هم أولئك الذين نجوا من العيش في الحياة بأعجوبة كبيرة!!!!

وتدور العقارب الصغيرة في عكس الاتجاه ساعة السراب فلربما تعيدنا إلى نقطة مضيئة في عالم شبه خالٍ من الضياء والحياة....

يمر ملك كبير من الجنوب على أروقة جدران قصر الوجود فيرى عليه عبارة تقول (بقية الله خير لكم)!!!!

فيرن سؤال في قلبه ويقول ما معنى هذه الجملة؟؟؟؟

وبمجرد أن رن هذا التساؤل في قلبه حتى شعر أن قلبه ينخلع من مكانه!!!! ذلك لأنّ الملك الموكل على القلوب قد صرخ في قلبه قائلاً إن معناها هو ما بقي من الله!!!!

فقال ملك الجنوب: وهل الذات الإلهية مبعضة ففيها بعض وبعض فتنقص وتزيد حتى تقول لي إنّ معناها هو ما بقي من الله؟؟؟؟ أي كلام هو هذا يا ملك القلوب؟؟؟

فقال ملك القلوب: ومن قال لك أنا أقصد المعنى الذي تشير إليه أنت؟؟؟؟

إنما أشير إلى المعنى الذي أشار إليه النص الذي كتب على أساس مملكة الوجود وهو (لا فرق بينك وبينها إلا أنهم عبادك وخلقك) فبقية الله هو الوجود المتبقي من الوجودات التي لا فرق بين الله وبينها...



فقال ملك الجنوب: يا ملك القلوب لم أستوعب ما ذكرت فهل تتفضل ببيانها لي؟؟؟

فقال ملك القلوب: هذه أمور خطت في وجودك فكيف لا تستوعبها وأنت ملك الجنوب!!! الحق إني أخاف عليك أن تعاقب كما عوقب فاليماس ملك المياه!!!! لذا سوف أجيبك طلبك حبيبي!!!

أنت ألم تقرأ في فضل زيارة المعصوم أن من زاره كان كمن زار الله في عرشه وفي كرسيه وكان كمن حدث الله وكمن حدثه الله....؟؟؟

فهذه النصوص تقول لك إنّ الذي يزور المعصوم فإنه يزور الله لأن المعصوم لا فرق بينه وبين الله إلا أنه عبده!!!

وأنت ألم تقرأ في النصوص التي تقول إنّ المعصوم هو مثل الله الأعلى!!! فهو المثل الذي ليس مثله شيء!!!

فالمعصوم مثل الله فهو نسخة الله الأحدية التي ليس مثلها نسخة!!!

وهذا هو معنى خلفاء الله في الخلق أي أنهم الله في الخلق ضمن نظام الواسطة الذي جعله خالقهم!!! هذا بالإضافة إلى كلام القرآن الكريم حيث أشار المعصوم بشكل صريح إلى بعض الآيات التي فيها لفظ الله وجاء تأويلها بالإمام!!! وأنت أعرف بهذه النصوص....

فقال ملك الجنوب: الآن فهمت فمعنى لقب بقية الله هو الموجود الذي بقي من سلسلة الموجودات التي لا فرق بينها وبين الله فهو بقية الله في الأرضين.

بقلم: حيدر الوائلي

السلوك التربوي لدى الإمام الجواد عليه السلام

إنّ من أهـمّ الأسباب التي ترقى بالمجتمعات المدنية وتجعلها في مصاف المجتمعات الراقية التي تحترم الإنسان وتجعل له قيمة حقيقية أمام نفسه وأمام غيره هو أن يكون هنالك منهجٌ أصيلٌ صحيحٌ خاليٌ من العيوب والسلبيات عند تطبيقه، هذا أولاً.

وثانياً أن يكون هناك قائدٌ يقود المجتمع نحو تطبيق هذا المنهج الصحيح ومعلمٌ لهم من خلال تطبيق نفس المنهج على نفسه أولاً ثم القريبين من أهل بيته وأصحابه ثم ينطلق نحو مجتمعه وأبناء جلدته، وهنا لابد من مناقشة عدة أمور وتوضيحها قبل الدخول إلى دور الإمام الجواد عليه السلام في تربية المجتمع الفاضل.

من المعروف أنّه لابد للمجتمع من منهج صحيح معتدل يسير عليه أفراد المجتمع، ولهذا نجد أنّ المناهج التي طبقت في المجتمعات البشرية لها نوعان:

النوع الأول لمنهاج التشريع الإنساني هو الذي يكون نتاج العقل البشري البحت والذي يصدر إما من فرد واحد يعدّل عليه من خلال العقول التي تأتي بعده، فتصحح السلبيات التي طرأت عليه أو إضافة ما لم يكن في الحسبان؛ وإمّا أن يكون من البداية صادراً من مجموعة العقلاء والمفكرين مجتمعين ومتفقين في إصـدار هـذا المنـهـاج والـقـانـون والتشريع الاجتماعي، وهذا هو النوع الأول من أنواع المنهج الرسالي للمجتمعات البشرية ولكن لهذا النوع من المنهج الاجتماعي المادي سلبيات عدة أهمها:

١. إنّ العقل البشري مهما زاد في تفكيره ودقق النظر في مسألة من المسائل فإنه لا يصل إلى المصالح والنتائج الحقيقية والمرجوة التي يريدها، وذلك بسبب أنّ العقل



البشري لا يستطيع الاطلاع على الغيب أو ما ستكون عليه الأمة والمجتمع في المستقبل.

٢. إنّ العقل البشري لا يستطيع التجرد من الميول والأهـواء والمصالح الخاصة بل دائماً يكون معتمداً في إصدار الأحكام على مصالحه الشخصية وأهوائه وميوله؛ وهذا واضح لكل مستقرئ لتاريخ الحضارات البشرية، وإنّنا نجد دائماً أنّها تحمل سمة المصالح الشخصية وظهور الشهوات النفسية في سلوكيات ومناهج المجتمعات المادية والتي لم ترجع إلى أساس وتشريع إلهي.

٣. إنّ العقل البشري لا يمكنه الاطلاع على جميع البشر من بداية خلق الإنسان وحتى انتهاء العالم وبالتالي فهو لا يعلم ماذا يصلح تلك المجتمعات السابقة واللاحقة اجتماعياً وأخلاقياً وبالتالي يكون رهين الابتداع والابتكار كلما فاجأته حاجة أو مشكلة اجتماعية وكما هو معروف من مقولة (إن الحاجة أمّ الاختراع).

فهذه بعض السلبيات التي تنتج من المنهج الاجتماعي المادي البحت ومن دون الاستناد إلى أي تشريع إلهي يخص هذا المجتمعات.

أما النوع الثاني للمنهج الاجتماعي أو السلوك الاجتماعي فهو المنهج الإلهي الرحماني الذي ينزل إلى البشرية حتى تكون آمنة وسعيدة متجهة نحو الكمال والرقي الإنساني مع التزام طريق العبودية لله تعالى وهو طريق السعادة الأخروية الدائمة غير المنقطعة، أما الطريق الموصل إلى هذا التشريع الإلهي للمجتمع وسلوكياته وتعاملاته وعلاقاته، فهو منحصر لا يأتي إلا عن طريق الأنبياء وأوصيائهم المتحمّلين عبء التبليغ والوصاية والحفاظ على هذا المنهج والقانون الإلهي.

من هذا نجد أنّ من أهم الأدوار التي مارسها الإمام محمد بن علي الجواد عليهما السلام هو حرصه على بناء مجتمع يتسلح بالأخلاق الحميدة والسلوك القويم.

لذا نرى أنّ كلمات الإمام الجواد عليه السلام كانت في الأعم الأغلب مهتمة في تحديد هذا الدور وتوضيح السلوك للمجتمع الذي يجب عليه السير بنهجه كما نلاحظ من خلال تتبع آثار هذا الإمام العظيم عليه السلام إنّه ركز اهتمامه في ترسيخ هذا الدور في المجتمع الإسلامي آنذاك وخاصة للجماعة التي كانت تحيط به.

الإمام الجواد عليه السلام وآثاره التربوية

لقد ركّز الإمام الجواد عليه السلام على جهتين من السلوك الاجتماعي.

الأولى: جهة سلوك الفرد تجاه إخوانه المؤمنين وكيفية السلوك والتعامل معهم.

والثاني: جهة سلوك الفرد تجاه مجتمعه كافة بغض النظر عن الدين والمذهب والعرق.

الجهة الأولى

إنّ سلوك الإنسان المؤمن لابد أن يكون منصبغاً بصبغة الإسلام والإيمان معاً وبالتالي يصح إطلاق تسمية الإسلام والإيمان على هذا الإنسان لأنّ مسألة الإيمان لها وجهان:

الأول هو علاقة الإنسان بربه وذلك من خلال التخلق بحقيقة العبودية الخالصة لله تعالى.

والوجه الثاني هو علاقة الإنسان بمجتمعه وذلك من خلال السلوك والتعامل الإيماني مع المجتمع ككل.

وبالتالي يكون هذا الإنسان أنموذجاً للإيمان من جهة، ومطبقاً مؤتمراً بالأمر الإلهي ثانياً، مما له الأثر الواضح في إخفاء الصورة الإيمانية على هذا الإنسان.

من هنا نفهم أنّ الإيمان لا يتحقق إلا بهما كطائر لا يطير إلا بجناحين وبالتالي فإن مسألة علاقة المؤمن بمجتمعه تبدأ أولاً بعلاقة الإنسان المؤمن مع أخيه المؤمن لأنّ المؤمنين يمثلون صفوة المجتمع الإنساني بل هم أساس المجتمعات البشرية على مر العصور.

فمن خلال ترسيخ العلاقات الاجتماعية بين المؤمنين وانتشار السلوك الإيماني بينهم يعطي قوة الدين للمجتمع وسعادة المؤمنين في عيشهم وحياتهم الدنيوية والتي تشكل العامل المهم في دفع المؤمنين إلى الاندماج التام في طريق العبودية لله تعالى.

من هنا نجد أنّ الإمام الجواد عليه السلام أكّد على هذه الحقيقة من خلال أحاديثه أو قل وصاياه التي أوصى بها المؤمنين.



يؤتى بجاحد حقّ علي وولايته يوم القيامة أصم وأبكم وأعمى

عـن أبـي ذر الغفاري رضـوان الله تعالى عليـه قال: قال النبـي الأكرم صلـى الله عليه وآله وسـلم: «يَا أَبَـا ذَرٍّ يُؤْتَى بِجَاحِـدِ حَقِّ عَلِـيٍّ وَوَلاَيَتِهِ يَـوْمَ الْقِيَامَةِ أَصَمَّ وَأَعْمَـى وَأَبْكَمَ يَتَكَبْكَبُ فِي ظُلُمَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ يُنَادِي مُنَادٍ [يا حَسْـرَتى عَلى ما فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللّهِ...]». (بحـار الأنوار:٧/٢١١)

أولاً: معنى الولاية

إن كلمـة الولايـة مشـتق مـن (و،ل،ي)، وهـو بمعنـى المتصـرف والحاكم والمتسـلط، وليَ على يَلـي، ولايةً وَولايةً، فهـو وال، والمفعول مَوْليّ ولي البلدَ: حكمه وتسـلَّط عليه ولي فلانًا: أحبَّه ولي الشّـيءَ ولِي على الشّيء: مَلَك أمرَه وقام به ولي فلانًـا، ولِي على فـلان: أي نَصَره.

والوَليُّ: كل مَن وَلِيَ أَمرًا أَو قام به.

وقـد جاءت كلمـة الوِلاَيةُ بمعـان مختلفة منهـا: القَرابة، الخِطَّةُ والإمارة، السُّـلطانُ.

وقيل هُـمْ عَلَى وَلاَيَـة: أَيْ يَدٌ وَاحِـدَةٌ، مُجْتَمِعُونَ على أمر واحـد. القومُ عليه وَلاَيةٌ: يَـدٌ واحدةٌ يجتمعون في أمر واحد.

ولاية الإمامة: أي تولي أمرها ومهامها.

فالمعنـى اللغـوي كمـا هـو واضح من أقـوال علمـاء اللغة ينصّ علـى أنّ ولايـة أمير المؤمنـين إن كانت لشـيعته فهي بمعنى محبّته وإطاعته في جميع الأمور، لأنّه صاحب الإمارة وبيده كل شـيء وهو القائم على أمـر الإمامة من بعد النبي صلـى الله عليه وآله وسـلم، فكما علينا إطاعـة النبي صلى الله عليـه وآله وسـلم يجـب إطاعة الإمام الـوالي وصاحب الأمـر من بعـده، ألا وهو أمـير المؤمنين علي بـن أبي طالب عليه السلام.

ثانياً: ولاية علي عليه السلام

قـال تعـالى ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ (المائدة: ٥٥)

فقـد اتفق جمهور من علماء الخاصة وأكثر علماء العامة ومنهم: أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري الثعلبي في تفسـيره الكبير، وأبـو عبد الله الرازي، وغيرهما

نقلوا.( )

روي عن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال: صليت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوماً صلاة الظهر فسأل سائل في المسجد فلم يعطه أحد فرفع السائل يده إلى السماء وقال: اللهم اشهد أني سألت في مسجد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فما أعطاني أحد شيئاً وعلي عليه الصلاة والسلام كان راكعاً فأومأ إليه بخنصره اليمنى وكان فيها خاتم فأقبل السائل حتى أخذ الخاتم بمرأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: اللهم إن أخي موسى سألك فقال ﴿ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (٢٥) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (٢٦) وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي (٢٧) يَفْقَهُوا قَوْلِي (٢٨) وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي (٢٩) هَارُونَ أَخِي (٣٠) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (٣١) وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴾ فأنزلت قرآناً ناطقاً ﴿ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا ﴾ اللهم وأنا محمد نبيك وصفيك فاشرح لي صدري ويسر لي أمري واجعل لي وزيراً من أهلي علياً أشدد به ظهري قال أبو ذر رضي الله تعالى عنه فو الله ما أتم رسول الله هذه الكلمة حتى نزل جبريل فقال: يا محمد! اقرأ ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آَمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾.

وروي أن عبد الله بن سلام قال: لما نزلت هذه الآية ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آَمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ قلت: يا رسول الله! أنا رأيت علياً تصدق بخاتمه على محتاج وهو راكع فنحن نتولاه.

وهكذا تثبت هذه الآية المباركة أن خلافة علي بن أبي طالب عليه الصلاة والسلام بعد الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم هي خلافة بلا فصل وولايته على المسلمين جميعاً هي ولاية كلية مطلقة وعلى جميع الناس لأن رسالة النبي صلى الله عليه وآله وسلم الآية الكريمة من القرآن ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ تدل على أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مرسل إلى جميع الناس في العالم وهو النذير العام لهم فكذلك شأن خليفته ووصيه علي بن أبي طالب عليه الصلاة والسلام فإنه وأولاده الأئمة المعصومين لهم الوصاية والولاية العامة الكلية على جميع الخلائق في العالم.

معنى الولي

إن كلمة (ولي) من الألفاظ المشتركة وتجد لها معاني كثيرة في القرآن الكريم خاصة وفي كتب اللغة عموماً ومنها ما هو على قسم واحد المالك، العبد، المحرر (من حرر عبداً) المساعد والرفيق والسيد والأمير والسلطان والصديق والوارث والقريب وغير ذلك من المعاني.

وبعض المفسرين يفسرون كلمة (ولي) بمعنى صديق ورفيق ولكن التعبير مخالف لمدلول الآية المباركة ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ ﴾ حيث إن كلمة (إنما) التي جاءت للحصر بينت أن غرض الباري عز وجل من معنى (الولي) ليس الصديق أو الرفيق فقط ولو أن هذا المعنى مهم ولكن لا يمكن للباري سبحانه وجل شأنه أن يحصر المحبة في المؤمنين في الله ورسوله وعلي فقط في الوقت الذي يقول الباري جل وعلا في آية أخرى ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ معناها أن جميع المؤمنين بالله تعالى هم إخوة لبعضهم ومحبة بعضهم لبعض واجبة ولازمة ولا يمكن لله تعالى بناء عليه أن يحصر المحبة في نفسه سبحانه ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم وعلي عليه الصلاة والسلام وعلى هذا نجد أن معنى كلمة (ولي) في الآية ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ ﴾ هي الولاية الكلية الإلهية أو بمعنى أولى به التصرف حيث إنّ الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة الأطهار عليهم الصلاة والسلام هم حاملون لهذه الولاية وهي منحصرة في الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة الأطهار.

ثالثاً: آثار تولّي أمير المؤمنين عليه السلام

الولاية: مشترك، إمّا مشترك معنوي، وإمّا مشترك لفظي، نحن نعتقد بالدرجة الأُولى أن تكون (الولاية) مشتركاً معنويّاً، فمعنى الولاية إذا قيل: فلان وليّ فلان، أي فلان هو القائم بأمر فلان، فلان ولي هذه الصغيرة، أي القائم بشؤون هذه الصغيرة، فلان وليّ الأمر أي القائم بشؤون هذا الأمر، ولذا يقال للسّلطان: ولي.

هذا المعنى هو واقع معنى الولاية.

ونجد هذا المعنى في جميع موارد استعمال لفظ الولاية ومشتقّاته، مثلاً: الصديق وليّ، الجار وليّ، الحليف وليّ،

الأب وليّ، الله وليّ، ورسـوله وليّ، وهكذا في الموارد الأُخرى مـن الأوليـاء. فـإنّ المعنـى الذي ذكرنـاه موجـود في جميع الموارد، وهـو القيام بالأمر.

فلـو راجعنا المعنى اللغوي في كتب اللغـة نرى أنّ الجار له الولاية أي الجار له الأولويّة في أن يقوم بأمور جاره، يعني لو أنّ مشـكلة حدثت لشـخص، فأقرب الناس في مساعدته في تلك المشكلة والقيام بشـؤون ذلك الشـخص هو جاره، هذا حـقّ الجوار، مثلاً الحليف كذلك، مثلاً الناصر أو الأخ، هذه كلّهـا، لكن المعنى الوحداني الموجود في جميع هذه الموارد هو القيام بالأمر.

هذا بناء على أن تكون الولاية مشتركاً معنويّاً.

وأمّـا إذا جعلنـا الولاية مشـتركاً لفظيّـاً، فمعنى ذلك أن يكون هناك مصاديـق متعدّدة ومعانٍ متعدّدة للّفظ الواحد، مثـل كلمة العـين، فهي مشـترك لفظي، ويشـترك في هذا: العين الجارية، والعين الباصرة، وعين الشمـس، وغير ذلك كما قـرأتم في الكتب الأُصوليّة.

فالاشـتراك ينقسـم إلى اشـتراك معنـوي واشـتراك لفظي، وفي الدرجة الأُولى نستظهر أن تكون الولاية مشتركاً معنويـاً، وعلـى فرض كـون المـراد مـن الولاية هـو المعنى المشترك بالاشتراك اللفظي، فيكون من معاني لفظ الولاية: الأحقيّة بالأمر، الأولويّة بالأمر، فهذا يكون من جملة معاني لفظ الولاية، وحينئذ، فلتعيـين هذا المعنى نحتاج إلى قرينة معيّنة، كسـائر الألفاظ المشـتركة بالاشتراك اللفظي.

وحينئـذ لـو رجعنـا إلى القرائـن الموجـودة في مثـل هذا المورد، لرأينا أنّ القرائن الحاليّة والقرائن اللفظيّة، وبعبارة أُخـرى القرائن المقاميّـة والقرائن اللفظيّـة، كلّها تدلّ على أنّ المـراد من الولايـة في هذه الآية هو المعنـى الذي تقصده الإماميّة، وهو الأولويّـة والأحقيّة بالأمر.

ومن جملـة القرائن اللّفظيّة نفسـ الروايـات الواردة في هذا المورد.

يقـول الفضـل بـن روزبهـان في ردّه علـى العلاّمـة الحلّـي رحمـة الله عليـه: إنّ القرائن تدلّ علـى أنّ المراد مـن الولاية هنـا النصرة، فـ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾، أي إنّمـا ناصركـم الله ورسـوله والذيـن يقيمـون الصلاة.

فابـن روزبهـان يجعـل الولايـة بمعنـى النصـرة، والنصـرة أحد معـاني لفظ الولاية كمـا في الكتب اللغويّة، لكن الروايات الـواردة في القضيّة تنفي أن يكون المراد من الولاية هنـا النصرة.

مثـلاً: هـذه الروايـة – وهي موجـودة في تفسـير الفخر الرازي، وتفسير الثعلبي، وفي كتب أُخرى –: أنّ النبيّ صلّى الله عليـه وآله لمّـا علم بأنّ عليّـاً تصدّق بخاتمه للسـائل، تضـرّع إلى الله وقال: «اللهمّ إنّ أخي موسـى سـألك قال: ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي * كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا * وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا * إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا﴾ فأوحيت إليـه: ﴿قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾، اللهـمّ وإنّي عبـدك ونبيّـك فاشـرح لي صـدري ويسّـر لي أمري واجعل لي وزيـراً من أهلي عليّاً أُشـدد به ظهري...» قال أبو ذر: فو الله ما اسـتتمّ رسـول الله صلّى الله عليـه وآله الكلمة حتّى هبط عليه الأمين جبرائيل بهذه الآية: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ... ﴾.

فهـل يرتضـي عاقـل فاهـم لـه أدنـى إلمـام بالقضايا، وباللّغـة، وبأُسـلوب القرآن، وبالقضايا الواردة عن رسـول الله، هـل يعقل حمل الولاية في هذه الآيـة مع هذه القرائن على النصرة؟ بأن يكون رسـول الله يطلب من الله سبحانه وتعالى أن يعلن إلى الملأ، إلى الناسـ، بـأنّ عليّاً ناصركم، فيتضرّع رسـول الله بهذا التضرّع إلى الله سبحانه وتعالى في هـذا المـورد، فيطلـب من الله نـزول آية تفيد بـأنّ عليّاً ناصـر المؤمنـين؟ وهـل كان من شـك في كون علـيٍّ ناصراً للمؤمنـين حتّى يتضرّع رسـول الله في هـذا المورد، مع هذه القرائـن، وبهـذا الشـكل مـن التضـرّع إلى الله سـبحانه وتعالى، وقبل أن يسـتتمّ رسـول الله كلامـه تنزل الآية من قبـل الله ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾ أي إنّمـا ناصركم الله ورسـوله والذين آمنـوا إلى آخر الآية؟ هـل يعقل أن يكون المراد من (وَلِيُّكُمُ) أي ناصركم في هذه الآية مـع هذه القرائن؟

إذن، لـو أصبحت «الولاية» مشـتركاً لفظيّـاً، وكنّا نحتاج إلى القرائـن المعيّنـة للمعنـى المـراد، فالقرائـن الحاليّـة



والقرائـن اللفظيّة كلّها تعـيّن معنى واحداً وهـو: الأولويّة، فالأولويّـة الثابتـة للّه وللرسـول ثابتـة للذين آمنـوا الذين يقيمـون الصلاة يؤتـون الزكاة وهـم راكعون.

إذن، عرفنا معنى (إنّما) ومعنى (الولاية) في هذه الآية.

ثـمّ الـواو في ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾ هذه الـواو عاطفة، وأمّـا الـواو التـي في ﴿ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ هـذه الواو حاليّـة أي في حال الركوع.

حينئـذ، يتّـم الاسـتدلال، إنّما وليّكـم أي إنّمـا الأولى بكم: اللّه ورسـوله والذيـن آمنوا الذيـن يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهـم راكعون.

وإذن، فقـد تمّ بيـان شـأن نـزول الآيـة المباركـة، وتمّ بيـان وجـه الاسـتدلال بالآيـة المباركـة بالنظر إلى مفرداتهـا واحـدة تلـو الأخرى.

إنّ النبـي الأكـرم صلـى اللّه عليه وآله وسـلم جعل ولاية أمير المؤمنين عليه السـلام من حقّه الشـرعي، لأنّه نفـس النبـي صلى اللّه عليه وآله وسـلم فضلاً عن آلاف الفضائل التـي يمتلكها الإمام أمير المؤمنين عليه السـلام عن غيره.

فمـن جحد بحـق أمير المؤمنين عليه السـلام الشـرعي يأتي يوم القيامة أصم وأبكم وأعمى، كأنّه لا يرى ولا يسمع ولا يتكلم.

مـن كان حاله أصـم وأبكـم وأعمى لا يسـتطيع أن يرى يوم القيامة ما يريد ولا يسـمع ما يريد ولا يسـتطيع الدفاع عن نفسـه لأنّـه لا يتكلم، فهذا مصيره واضـح وبيّن، وهذا لعداوته لأمير المؤمنين عليه السـلام ولأنّه لم يقبل حقّ أمير المؤمنين عليه السـلام في ولايته.

فمـن لا يـرى كأنّه يمشـي وهـو في ظـلام دامـس، وأي ظلام أظلم من ظلام يوم القيامة!! أعاذنا اللّه وإياكم منه.

فحينهـا يقول ﴿ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ ﴾، يتحسّـر علـى أنّه لـو كان في دار الدنيا يـوالي علياً عليه السـلام، ولا ينصب العداوة له.

لأنّـه كان يصلـي ويصـوم ويقـوم بتأديـة كل شـرائع الإسلام كالخمس والزكاة والحج وغير ذلك إلاّ أنّه كان لا يقبـل بولاية أمير المؤمنين عليه السـلام وكان جاحداً بحق علي عليه السـلام.

فـكان سـبب التفريط في جنـب اللّه، سـبب التفريط مع أداء الأحكام الشرعية.

وكذلـك النبـي صلـى اللّه عليـه وآلـه وسـلم يضيـف وصفاً أدق لهؤلاء الجاحدين لحقه عليه السـلام فيقول: «ويلقـي في عنقـه طوق من النار ولذلـك الطوق ثلاثمائة شـعبة على كل شـعبة شـيطان يتفل في وجهـه ويكلح من جوف قـبره إلى النار».

الطـوق هي حلقة تُلقـى في العنق، فإذا تصوّر الإنسـان أنّ هـذا الطوق أو الحلقة من جنـس النـار وهي في عنقه، ماذا يمكنه أن يفعل.

إضافـة إلى ذلـك الطوق لـه ثلاثمائة شـعبة، وعلى كل شعبة شيطان يتفق في وجه الجاحد لحق علي عليه السلام.

فمـن لا يقبل ولاية أمـير المؤمنين عليه السـلام مصيره كمن يفزّع من قـبره إلى النار وهذا حال الناصبين العداوة لأمير المؤمنين عليه السـلام وأهل بيته عليهم السلام.

بقلم: السيد علي الميلاني



قالوا في الإمام الجواد عليه السلام

لقد شهد لهذا الإمام الجليل محمد بن علي الجواد عليهما السلام بالفضل القاصي والداني، والقريب والبعيد عنه.

فمن العلماء الذي قال في حق جواد الأئمة عليه السلام كالتالي:

قال الذهبي: (كان محمد يلقب بالجواد، وبالقانع، والمرتضى، وكان من سروات آل بيت النبي، وكان أحد الموصوفين بالسخاء فلذلك لقب بالجواد). (تاريخ الإسلام:٨)

وقال ابن تيمية: (محمد بن علي الجواد كان من أعيان بني هاشم وهو معروف بالسخاء، ولهذا سمّي بالجواد). (منهاج السنة:٢/١٢٧)

وقال ابن الجوزي: (محمد الجواد كان على منهاج أبيه في العلم والتقى، والجود). (تذكرة الخواص:ص٣٢١)

وقال محمود بن وهب: (محمد بن الرضا بن موسى بن الكاظم الطالبي الهاشمي القرشي، أبو جعفر الملقب بالجواد، تاسع الأئمة الاثني عشر عند الإمامية، وهو الوارث لأبيه علماً وفضلاً وأجل إخوته قدراً وكمالاً). (جوهر الكلام في مدح السادة الاعلام:١٤٩)

وقال خير الدين الزركلي: (كان رفيع القدر كأسلافه زكياً طليق اللسان قوي البديهة). (الأعلام:٧/١٥٥).

وقال الشيخ كمال الدين طلحة: (مناقب أبي جعفر محمد الجواد عليه السلام، ما اتسعت جلباب مجالها، ولا امتدت أوقات أجالها، بل مضت عليه الأقدار الإلهية بقلة بقائه في الدنيا بحكمها وسجالها؛ فنقل في الدنيا مقامه، وعجل عليها فيها حمامه، فلم تطل لياليه، ولا امتدت أيامه، غير أن الله خصه بمنقبة أنوارها متألقة في مطالع التعظيم، وأخبارها مرتفعة في معارج التفضيل والتكريم). (مطالب السؤول في مناقب آل الرسول:٢/٧٤)

وقال الشبلنجي: (وإن كان الجواد عليه السلام صغير السن، فهو كبير القدر، رفيع الذكر، ومناقبه عليه السلام كثيرة). (نور الأبصار:٣٢٦)

وقال علي حلال الحسين: (برز على أهل زمانه في العلم والفضل من صغر سنه). (الحياة السياسية للإمام الجواد عليه السلام:٩٠)

بقلم: محمود السيف



الإمام الجواد عليه السلام والقرآن

كان الإمام الجواد عليه السلام مقصداً للذين يستفسرون عما يحيّرهم من المسائل التي لا يمكن أن يفهموها بعيداً عن ذوي العلم والمعرفة وخصوصاً كتاب الله العزيز، فكان يبيّن للناس تفسير آيات الله في الفقه والعقائد والأحكام وغير ذلك من العلوم ومما ورد عنه عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ ﴾. (البقرة:٨٣)

عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام أنه قال: «قال محمد بن علي الرضا عليه السلام: من اختار قرابات أبَوَي دينه: محمد وعلي عليهما السلام على قرابات أبَوَي نسبه، اختاره الله تعالى على رؤوس الأشهاد يوم التناد، وشهره بخلع كراماته، وشرفه بها على العباد، إلا من ساواه في فضائله أو فضله». (تفسر الإمام العسكري:٣٣٦،ح٢١٠)

قال الراغب الأصفهاني في المفردات: الأب: الوالد، ويسمى كل من كان سبباً في إيجاد شيء أو إصلاحه أو إظهاره أباً، ولذلك سمّي النبي صلى الله عليه وآله وسلم أبا المؤمنين قال الله تعالى: ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ﴾. (الأحزاب:٦)

وروى أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال لعلي عليه السلام: «أنا وأنت أبوا هذه الأمة». (الغارات:٢/٧١٧)

وعن الإمام العسكري عليه السلام قال: «قال محمد بن علي بن موسى عليه السلام حين قال رجل بحضرته: إني لأحب محمداً وعلياً حتى لو قطعت إرباً إرباً أو قرضت، لم أزل عنه. قال محمد بن علي عليه السلام: لا جرم أنّ محمداً وعلياً يعطيانك من أنفسهما ما تعطيهما أنت من نفسك، إنهما ليستدعيان لك في يوم فصل القضاء ما لا يفي ما بذلته لهما بجزء من مائة ألف ألف جزء من ذلك». (تفسير الإمام العسكري عليه السلام:٣٢٢،ح١٩٩)

وقال الإمام الجواد عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾. (البقرة:١٤٨)

عن عبد العظيم الحسني قال: قلت لمحمد بن علي بن موسى: إني لأرجو أن تكون القائم من أهل بيت محمد الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلا كما ملئت جوراً وظلماً فقال عليه السلام: «مَا مِنَّا إِلَّا قَائِمٌ بِأَمْرِ اللهِ وَهادي إِلَى دِينِ اللهِ وَلَكِنَّ الْقَائِمَ الَّذِي يُطَهِّرُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ الْأَرْضَ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ وَالْجُحُودِ وَيَمْلَأُهَا عَدْلًا وَقِسْطاً هُوَ الَّذِي يَخْفَى عَلَى النَّاسِ وِلادَتُهُ وَيَغِيبُ

عَنْهُمْ شَخْصُهُ وَيَحْرُمُ عَلَيْهِمْ تَسْمِيَتُهُ وَهُوَ سَمِيُّ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وَكَنِيُّهُ وَهُوَ الَّذِي تُطْوَى لَهُ الْأَرْضُ وَيَذِلُّ لَهُ كُلُّ صَعْبٍ يَجْتَمِعُ إِلَيْهِ مِنْ أَصْحَابِهِ عَدَدُ أَهْلِ بَدْرٍ ثَلَاثُمِائَةٍ وَثَلَاثَةَ عَشَرَ رَجُلًا مِنْ أَقَاصِي الْأَرْضِ وَذَلِكَ قَوْلُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، فَإِذَا اجْتَمَعَتْ لَهُ هَذِهِ الْعِدَّةُ مِنْ أَهْلِ الْإِخْلَاصِ أَظْهَرَ أَمْرَهُ فَإِذَا أُكْمِلَ لَهُ الْعَقْدُ وَهِيَ عَشَرَةُ آلَافِ رَجُلٍ خَرَجَ بِإِذْنِ اللهِ فَلَا يَزَالُ يَقْتُلُ أَعْدَاءَ اللهِ حَتَّى يَرْضَى اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَالَ عَبْدُ الْعَظِيمِ قُلْتُ لَهُ يَا سَيِّدِي وَكَيْفَ يَعْلَمُ أَنَّ اللهَ قَدْ رَضِيَ قَالَ يُلْقِي فِي قَلْبِهِ الرَّحْمَةَ». (بحار الأنوار:٥١/١٥٧)

وقال عليه السلام في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. (البقرة:١٧٣)

عن الشيخ الطوسي رحمه الله: «... عن عبد العظيم بن عبد الله الحسني، عن أبي جعفر محمد بن علي الرضا عليه السلام أنّه قال: سألته عما أهل لغير الله، قال عليه السلام: «ما ذبح لصنم أو وثن أو شجر حرم الله ذلك، كما حرم الميتة والدم ولحم الخنزير ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ أن يأكل الميتة....»، فقلت له: يابن رسول الله! فما معنى قوله عز وجل: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾؟ قال عليه السلام: «العادي، السارق، والباغي، الذي يبغي الصيد بطراً ولهواً لا ليعود به على عياله، ليس لهما أن يأكلا الميتة إذ اضطرا، هي حرام عليهما في حال الاضطرار كما هي حرام عليهما في حال الاختيار، وليس لهما أن يقصرا في صوم ولا صلاة في سفر...». (تهذيب الأحكام:٩/٨٣)

وقال عليه السلام في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾. (البقرة:٢٦٤)

عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام قال: «دَخَلَ رَجُلٌ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى الرِّضَا عليهم السلام وَهُوَ مَسْرُورٌ، فَقَالَ عليه السلام: «مَا لِي أَرَاكَ مَسْرُوراً»، قَالَ: يَابْنَ رَسُولِ اللهِ، سَمِعْتُ أَبَاكَ يَقُولُ: أَحَقُّ يَوْمٍ بِأَنْ يُسَرَّ الْعَبْدُ فِيهِ يَوْمٌ يَرْزُقُهُ اللهُ صَدَقَاتٍ وَمَبَرَّاتٍ وَسَدَّ خَلَّاتٍ مِنْ إِخْوَانٍ لَهُ مُؤْمِنِينَ، وَإِنَّهُ قَصَدَنِي الْيَوْمَ عَشَرَةٌ مِنْ إِخْوَانِي [الْمُؤْمِنِينَ] الْفُقَرَاءِ لَهُمْ عِيَالاتٌ، قَصَدُونِي مِنْ بَلَدِ كَذَا وَكَذَا، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ فَلِهَذَا سُرُورِي. فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ علي عليه السلام: لَعَمْرِي إِنَّكَ حَقِيقٌ بِأَنْ تُسَرَّ إِنْ لَمْ تَكُنْ أَحْبَطْتَهُ أَوْ لَمْ تُحْبِطْهُ فِيمَا بَعْدُ». فَقَالَ الرَّجُلُ: وَكَيْفَ أَحْبَطْتُهُ وَأَنَا مِنْ شِيعَتِكُمُ الْخُلَّصِ قَالَ عليه السلام: «قَدْ أَبْطَلْتَ بِرَّكَ بِإِخْوَانِكَ وَصَدَقَاتِكَ». قَالَ: وَكَيْفَ ذَاكَ يَابْنَ رَسُولِ اللهِ قَالَ لَهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ عليه السلام: اقْرَأْ قَوْلَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾؛ قَالَ الرَّجُلُ: يَابْنَ رَسُولِ اللهِ مَا مَنَنْتُ عَلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ تَصَدَّقْتُ عَلَيْهِمْ وَلَا آذَيْتُهُمْ! قَالَ لَهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ عليه السلام: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ إِنَّمَا قَالَ: ﴿لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ وَلَمْ يَقُلْ لَا تُبْطِلُوا بِالْمَنِّ عَلَى مَنْ تَتَصَدَّقُونَ عَلَيْهِ، [وَبِالْأَذَى لِمَنْ تَتَصَدَّقُونَ عَلَيْهِ] وَهُوَ كُلُّ أَذًى، أَفَتَرَى أَذَاكَ لِلْقَوْمِ الَّذِينَ تَصَدَّقْتَ عَلَيْهِمْ أَعْظَمُ، أَمْ أَذَاكَ لِحَفَظَتِكَ وَمَلَائِكَةِ اللهِ الْمُقَرَّبِينَ حَوَالَيْكَ، أَمْ أَذَاكَ لَنَا»، فَقَالَ الرَّجُلُ: بَلْ هَذَا يَابْنَ رَسُولِ اللهِ. فَقَالَ عليه السلام: «فَقَدْ آذَيْتَنِي وَآذَيْتَهُمْ وَأَبْطَلْتَ صَدَقَتَكَ». قَالَ: لِمَاذَا قَالَ عليه السلام: «لِقَوْلِكَ (وَكَيْفَ أَحْبَطْتُهُ وَأَنَا مِنْ شِيعَتِكُمُ الْخُلَّصِ) وَيْحَكَ، أَتَدْرِي مَنْ شِيعَتُنَا الْخُلَّصُ»؟ [قَالَ: لَا. قَالَ عليه السلام: «شِيعَتُنَا الْخُلَّصُ] حِزْقِيلُ الْمُؤْمِنُ، مُؤْمِنُ آلِ فِرْعَوْنَ وَصَاحِبُ يس الَّذِي قَالَ اللهُ تَعَالَى [فيه]: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى﴾ وَسَلْمَانُ وَأَبُو ذَرٍّ وَالْمِقْدَادُ وَعَمَّارٌ، أَسَوَّيْتَ نَفْسَكَ بِهَؤُلَاءِ أَمَا آذَيْتَ بِهَذَا الْمَلَائِكَةَ، وَآذَيْتَنَا». فَقَالَ الرَّجُلُ: أَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، فَكَيْفَ أَقُولُ قَالَ عليه السلام: «قُلْ أَنَا مِنْ مُوَالِيكُمْ وَمُحِبِّيكُمْ، وَمُعَادِي أَعْدَائِكُمْ، وَمُوَالِي أَوْلِيَائِكُمْ». فَقَالَ: كَذَلِكَ أَقُولُ، وَكَذَلِكَ أَنَا يَابْنَ رَسُولِ اللهِ، وَقَدْ تُبْتُ مِنَ الْقَوْلِ الَّذِي أَنْكَرْتَهُ، وَأَنْكَرَتْهُ الْمَلَائِكَةُ، فَمَا أَنْكَرْتُمْ ذَلِكَ إِلَّا لِإِنْكَارِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ. فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى الرِّضَا عليه السلام: «الْآنَ قَدْ عَادَتْ إِلَيْكَ مَثُوبَاتُ صَدَقَاتِكَ وَزَالَ عَنْهَا الْإِحْبَاطُ». (بحار الأنوار: ٥١/١٥٧)

وقال الإمام الجواد عليه السلام في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ

أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾. (البقرة:٢٧٥)

عن أحمد بن محمد بن عيسى في نوادره، عن أبيه قال: إنَّ رَجُلاً أَرْبَى دَهْراً مِنَ الدَّهْرِ فَخَرَجَ قَاصِداً أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام فَسَأَلَهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ لَهُ عليه السلام: «مَخْرَجُكَ مِنْ كِتَابِ اللهِ يَقُولُ اللهُ ﴿ فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ ﴾ وَالْمَوْعِظَةُ هِيَ التَّوْبَةُ فَجَهْلُهُ بِتَحْرِيمِهِ ثُمَّ مَعْرِفَتُهُ بِهِ فَمَا مَضَى فَحَلَالٌ وَمَا بَقِيَ فَلْيَحْفَظْ». (النوادر:١٦١)

وقال عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾. (المائدة:١)



عن علي بن إبراهيم القمي رحمه الله قال: أَخْبَرَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدِ ابْنِ عَامِرٍ عَنِ الْمُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ الْبَصْرِيِّ عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ الثَّانِي عليه السلام فِي قَوْلِهِ تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾، قَالَ: «إِنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله عَقَدَ عَلَيْهِمْ لِعَلِيٍّ بِالْخِلَافَةِ فِي عَشَرَةِ مَوَاطِنَ، ثُمَّ أَنْزَلَ اللهُ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ الَّتِي عُقِدَتْ عَلَيْكُمْ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام». (تفسير القمي:١/١٦٠)

وقال عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾. (الأنعام:١٠٣)

عن مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَبْدِ اللهِ عَمَّنْ ذَكَرَهُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى عَنْ دَاوُدَ بْنِ الْقَاسِمِ أَبِي هَاشِمٍ الْجَعْفَرِيِّ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قوله ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ﴾ فَقَالَ عليه السلام: «يَا أَبَا هَاشِمٍ أَوْهَامُ الْقُلُوبِ أَدَقُّ مِنْ أَبْصَارِ الْعُيُونِ أَنْتَ قَدْ تُدْرِكُ بِوَهْمِكَ السِّنْدَ وَالْهِنْدَ وَالْبُلْدَانَ الَّتِي لَمْ تَدْخُلْهَا وَلَا تُدْرِكُهَا بِبَصَرِكَ وَأَوْهَامُ الْقُلُوبِ لَا تُدْرِكُهُ فَكَيْفَ أَبْصَارُ الْعُيُونِ». (الكافي:١/٩٩)

وعَنْ أَبِي هَاشِمٍ الْجَعْفَرِيِّ قَالَ: أَخْبَرَنِي الْأَشْعَثُ بْنُ حَاتِمٍ أَنَّهُ سَأَلَ الرِّضَا عليه السلام عَنْ شَيْءٍ مِنَ التَّوْحِيدِ فَقَالَ عليه السلام: «أَلَا تَقْرَأُ الْقُرْآنَ»، قُلْتُ نَعَمْ: قَالَ: «اقْرَأْ ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ﴾ فَقَرَأْتُ فَقَالَ: «مَا الْأَبْصَارُ؟»، قُلْتُ: أَبْصَارُ الْعَيْنِ، قَالَ عليه السلام: «لَا إِنَّمَا عَنَى الْأَوْهَامَ لَا تُدْرِكُ الْأَوْهَامُ كَيْفِيَّتَهُ وَهُوَ يُدْرِكُ كُلَّ فَهْمٍ». (المحاسن:١/٢٣٩)

وعن محمد بن عيسى، عن أبي هاشم، عن أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام نَحْوَهُ، إلاّ أنه قَالَ: «الْأَبْصَارُ هَاهُنَا أَوْهَامُ الْعِبَادِ فَالْأَوْهَامُ أَكْثَرُ مِنَ الْأَبْصَارِ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَوْهَامَ وَلَا تُدْرِكُهُ الْأَوْهَامُ». (المحاسن:١/٢٣٩)

وقال عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾. (يوسف:٢٢)

عن الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَسْبَاطٍ قَالَ: رَأَيْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام وَقَدْ خَرَجَ عَلَيَّ فَأَخَذْتُ النَّظَرَ إِلَيْهِ وَجَعَلْتُ أَنْظُرُ إِلَى رَأْسِهِ وَرِجْلَيْهِ لِأَصِفَ قَامَتَهُ لِأَصْحَابِنَا بِمِصْرَ فَبَيْنَا أَنَا كَذَلِكَ حَتَّى قَعَدَ فَقَالَ: «يَا عَلِيُّ إِنَّ اللَّهَ احْتَجَّ فِي الْإِمَامَةِ بِمِثْلِ مَا احْتَجَّ بِهِ فِي النُّبُوَّةِ فَقَالَ ﴿ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾، وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ، وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً، فَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يُؤْتَى الْحِكْمَةَ وَهُوَ صَبِيٌّ وَيَجُوزُ أَنْ يُؤْتَاهَا وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعِينَ سَنَةً». (الكافي:١/٣٨٤،ح٧)

وقال عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾. (يوسف:١٠٨)

عن عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ عَلِيُّ بْنُ حَسَّانَ لِأَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام: يَا سَيِّدِي إِنَّ النَّاسَ يُنْكِرُونَ عَلَيْكَ حَدَاثَةَ سِنِّكَ فَقَالَ عليه السلام: «وَمَا يُنْكِرُونَ مِنْ ذَلِكَ قَوْلَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ لَقَدْ قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِنَبِيِّهِ صلى الله عليه وآله ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ فَوَاللهِ مَا تَبِعَهُ إِلَّا عَلِيٌّ عليه السلام وَلَهُ تِسْعُ سِنِينَ وَأَنَا ابْنُ تِسْعِ سِنِينَ». (الكافي:١/٣٨٥،ح٨)

محاربة القرآن الكريم للشرك



ما هو معنى الشرك؟ وأي شرك حاربه القرآن الكريم والإسلام؟

من معاني الشرك الاعتقاد بوجود أكثر من مبدأ واحد للعالم.

فالمجوسية مثلاً كانوا يعتقدون أن للعالم مبدأين، أحدهما هو النور والآخر هو الظلمة، وكانوا يدّعون أن النور قديم وهو أصل الخير والظلمة حادثة وهي أصل الشر.

والثنوية قالوا بأصلين قديمين أزليين متساويين في القدم والأزلية، مختلفان في الجوهر والطبع والفعل والمكان والحيّز والأجساد والأبدان والأرواح.

والمزدكية اعتقدوا بأصلين قديمين أيضاً وجعلوا لكل منهما قوى ومع هذه القوى أعوان وغيرها.

وأما الحرنانيون فهم طائفة من المجوس جمعت بين تثليث النصارى وشرك الثنوية، فقالوا بخمسة أصول للعالم، اثنان منها حيّان فاعلان وهما الله والنفس والثالث منفعل وهو الهيولى ورابع وخامس غير فاعلين وهما الدهر والخلاء.

وأما النصارى فكان قولهم بالتثليث وهو أنّ الله في الجوهر واحد ولكنه في الأقنوم (وهي كلمة سريانية معناها الأصل) ثلاثة. والأقانيم الثلاثة هي الوجود والعلم والحياة، وذات الله في الأقنوم الأول أب وفي الثاني ابن وفي الثالث روح القدس، واعتقدوا أن العلم تجسّد وأن عيسى هو ابن الله الوحيد.

وأما العرب زمن الجاهلية، فكان منهم الدهرية الذين اعتقدوا أن الطبع هو المحيي والدهر هو المميت. ومنهم من آمن بالمبدأ والمعاد فقط، ومهم من آمن بالمبدأ فقط، وأنكر ما سوى ذلك من معاد ونبوة.

ومن معاني الشرط أيضاً الشرك في العبادة ويعني عبادة أكثر من إله وتقديس آلهة أو صور آلهة، وأكثر طوائف المشركين على هذا الشرك، وفيها طائفتان كبيرتان:

الطائفة الأولى

أصحاب الهياكل وهم الذين اعتقدوا أنه لا يمكنهم عبادة الله العظيم وأنهم بحاجة إلى واسطة يعبدونها تقرّبهم إلى الله، فقالوا بالأرواح المجردة واعتقدوا بأنها مدبرة العالم ولما أرادوا عبادتها رأوا أنهم لا يرونها دائماً ورأوا الحاجة إلى عبادة موجود يرونه فتوجهوا نحو الهياكل، أي الكواكب السيارة، فصاروا يعبدونها ضمن طقوس خاصة.

الطائفة الثانية

أصحاب الأصنام الذين قالوا أن للكواكب شروقاً وغروباً، ولا يمكن رؤيتها دائماً، فالتقرّب بها غير ميسورة فرأوا ضرورة صناعة تماثيل على مثال الهياكل، فصنعوا الأصنام وعبدوها لتقرّبهم إلى الهياكل، والهياكل لتقرّبهم إلى الأرواح التي هي أرباب صغار تقرّبهم إلى الله العظيم.

وكان العرب قبل الإسلام يعبدون الأصنام حيث كان لكل قبيلة منهم صنم خاص.

وأهم تلك الأصنام ودّ وسواع ويغوث ويعوق ونسر واللات والعزّى ومناة وهبل وإساف ونائلة.. وكانت هناك طوائف أخرى لها اعتقادات أخرى بعضها يهودية وبعضها نصرانية وطائفة من الصابئة وقوم عبدوا الملائكة وآخرون عبدوا الجن واعتقدوا أنّهم بنات الله.

وقد واجه الإسلام والقرآن الكريم هذه المعتقدات والعبادات المنحرفة، والآيات التي تعرضت للشرك بكافة أشكاله كثيرة جداً، نذكر منها:

في الرد على القائلين بإلهين أو أكثر وفي إثبات التوحيد قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾. (الأنبياء:٢٢)

وقال تعالى: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾. (الأنبياء:٢٤)



وبهذا المضمون سورة التوحيد وآخر سورة الحشر وكثير من الآيات الأخرى.

وفي الآيات التي نزّهت وقدّست الله عن ما نُسب إليه من أوصاف رد على مذهب الثنوية والمزدكية.

أما في الرد على الدهرية فقد ورد في القرآن قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾. (الجاثية:٢٤)

وبعض الآيات التي ترجع الناس إلى فطرتهم وتدعوهم إلى التفكير يصلح لرد هذه الطائفة.

وقد وبّخ القرآن الكريم في كثير من السور وببيانات مختلفة أولئك الذين أشركوا في العبادة، من ذلك ما ورد في الرد على عبادة الكواكب: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ (٧٦) فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ (٧٧) فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾. (الأنعام: ٧٦- ٧٨)

فإبراهيم عليه السلام رفض عبادة الكواكب والقمر والشمس ببرهان الغروب الذي هو أحد خواص الممكن، وقد نقل القرآن برهان إبراهيم عليه السلام من أجل إبطال مشركي العرب.

وفي الرد على عبادة الأصنام والأوثان قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾. (يونس: ١٨)

وقوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ﴾. (الأنبياء:٤٣)

وفيها قضية إبراهيم وتحطيمه الأصنام ومحاجته قومه، قال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ (٩٨) لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ﴾. (الأنبياء:٩٨-٩٩)

وردّ القرآن الكريم على ادعاءات النصارى في الكثير من الآيات الكريمة، منها قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ...﴾. (المائدة: ٧٣)

وقال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ...﴾. (النساء:١٧١)

وقد أسمع القرآن الكفار خلاصة الأمر في سورة صغيرة هي سورة الكافرون بقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٣) وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ (٤) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٥) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾. (الكافرون:١-٦)

بقلم: علي عبد الحسن



فلسفة الصلاة على النبي وآله الطاهرين عليهم السلام

للصلاة على محمد وآل محمد عليهم السلام جهتان، فهي من جهة تمثّل الصلة بين العبد وخالقه باعتبارها دعاءً أو ذكراً، ومن جهة ثانية تمثّل الصلة بين العبد الموالي وبين أوليائه، وهم أولياء النعمة والهداية محمد وآله الطاهرين عليهم أفضل الصلاة والسلام.

أمّا من جهة الصلة مع الخالق فهي دعاء، لقولك في هذه الصلاة: (اللهم)، وأصلها: يا الله، فهي مشتملة على نداء ومنادى، ومعناها: يا الله ارحم محمّداً وآل محمّد، وارفع ذكرهم، وأعلِ درجتهم، وابعث المقام المحمود الذي يغبطه عليه الأولون والآخرون.

وأما من جهة الصلة بين الموالي وأولياء النعمة والهداية فيمكن بيانه ضمن عدة نقاط:

النقطة الأولى

هي دعاء لمحمد وآله الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين، فالعبد يطلب بها أن يصلي الله عليهم، وصلاة الله عليهم رحمة وبركة، وعلوّ الدرجات، والقرب منه تعالى، فإذن هي دعاء لهم بما يشتمل على جوامع الخير والفضل.

النقطة الثانية

تمثّل الشكر لهم صلوات الله عليهم على ما بذلوه في سبيل نشر الدين والدعوة إلى سعادة الدارين، من خلال الرسالة التي بلّغوها عن الله تعالى، والعقل والنقل يأمران بوجوب شكر المنعم المتفضّل عليك بالإحسان والمعروف، فعَنْ عَبْدِ الْعَظِيمِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْحَسَنِيِّ عَنْ مَحْمُودِ بْنِ أَبِي الْبِلادِ قَالَ: سَمِعْتُ الرِّضَا عليه السلام يَقُولُ: «مَنْ لَمْ يَشْكُرِ الْمُنْعِمَ مِنَ

الْمَخْلُوقِينَ لَمْ يَشْكُرِ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ».(عيون أخبار الرضا عليه السلام:٢/٢٤)

فيتوقف الشكر على معرفة ذات المُنعم وصفاته، فلا يمكن أن نؤدّي لهم الشكر إلاّ بعد معرفة عظمتهم، ومكانتهم، ما قدّموه للبشرية من تعاليم ومفاهيم تكفل لهم السعادة في الدارين، ليكون الشكر على قدرهم، لا أقلّ من ذلك فيكون إهانة لهم.

والمعرفة الواجبة التي لا يُعذر منها أحد والتي تُخرج الإنسان من الجهل والضلال إلى النور هي الإيمان بالأئمة الاثني عشر بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأولهم علي بن أبي طالب عليه السلام وآخرهم الإمام المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف.

وأمّا المعرفة الحقيقية والكاملة لهم فلا يمكن لأيّ إنسان أن يصل إليها، من هنا ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال للإمام علي عليه السلام: «يَا عَلِيُّ مَا عَرَفَ اللهَ إِلاَّ أَنَا وَأَنْتَ، وَمَا عَرَفَنِي إِلاَّ اللهُ وَأَنْتَ، وَمَا عَرَفَكَ إِلاَّ اللهُ وَأَنَا».(مختصر بصائر الدرجات:٣٣٦)

وحيث إنّنا لا نستطيع أن نتعرّف بعقولنا القاصرة على حقائقهم وأسرارهم المكنونة فلابدّ من الرجوع إلى أحاديثهم لنتعرّف على بعض خصائصهم، ونورانيتهم، فيمكن أن نستلخص من تلك الأحاديث الأمور التالية:

أولاً: أنهم علّة الخلق

ففي حديث الكساء المتواتر الذي نزل به جبرائيل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ورد: «العَلِيُّ الأَعلَى يُقرِئُكَ السَّلام، وَيَخُصُّكَ بِالتَّحِيَّةِ وَالإِكرَامِ وَيَقُولُ لَكَ: وَعِزَّتي وَجَلالي إنّي ما خَلَقْتُ سَماءً مَبنِيَّةً، ولا أَرضاً مَدحِيَّةً، وَلا قَمَراً مُنيراً، وَلا شَمساً مُضيئَةً، ولا فَلَكاً يَدُورُ، ولا بَحراً يَجري، وَلا فُلكاً يَسري، إلاّ لأجلكم وَمَحَبَّتِكم».(مفاتيح الجنان:٧٨٦)

ومن هنا صحّ أن يقال: إنّهم العلّة في الخلق، فضلاً عن أنّ محبّتهم وموالاتهم السبيل إلى النجاة.

ثانياً: أنّهم أول الخلق

وردت الروايات من طرق الشيعة والسنّة أنّ أول ما خلق الله تعالى أنوار النبي والأئمة عليهم الصلاة والسلام، ويسمّى هذا المقام (مقام النورانية)، فعن سلمان المحمدي رضوان الله تعالى عليه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «كُنْتُ أَنَا وَعَلِيٌّ نُوراً بَيْنَ يَدَي اللهِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ اللهُ آدَمَ بِأَرْبَعَةَ عَشَرَ أَلْفَ عَام، فَلَمَّا خَلَقَ اللهُ آدَمَ قَسَمَ ذَلِكَ النُّورَ جُزْءَيْنِ رَكبَا فِي آدَمَ فَجُزْءٌ أَنَا وَجُزْءٌ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِب، فَنُورُ الْحَقِّ مَعَنَا نَازِلٌ حَيْثُمَا نَزَلْنَا».(المسترشد في إمامة علي بن أبي طالب عليه السلام:٦٣٠. فضائل الخمسة من الصحاح الستة:١/٢٠٣)

عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «نحن أصل كل برّ، ومن فروعنا كل برّ؛ ومن البرّ التوحيد، والصلاة، والصيام، وكظم الغيظ، والعفو عن المسيء، ورحمة الفقير، وتعاهد الجار، والإقرار بالفضل لأهله».(البرهان في تفسير القرآن:١/٥٣)

ثالثاً: لهم الولاية التشريعية والتكوينية

للنبي والأئمة صلوات الله عليهم ولاية تشريعية على الناس مستمدة من ولاية الله تعالى، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾.(المائدة:٥٥)

فقد دلّت جميع التفاسير بين الفريقين أنّ هذه الآية نزلت في علي بن أبي طالب عليه السلام.

ولهم صلوات الله عليهم الولاية التكوينية، أي: القدرة على التصرّف في الكون بخرق القوانين الطبيعية كإحياء الموتى، وشفاء المرضى كالأعمى والأكمه، وطيّ الأرض بإذن الله تعالى.

وقد جاء في زيارة الجامعة الكبيرة لأئمة المؤمنين عليهم السلام: «السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ، وَمَوْضِعَ الرِّسَالَةِ، وَمُخْتَلَفَ الْمَلاَئِكَةِ، وَمَهْبِطَ الْوَحْيِ، وَمَعْدِنَ الرَّحْمَةِ، وَخُزَّانَ الْعِلْمِ، وَمُنْتَهَى الْحِلْمِ، وَأُصُولَ الْكَرَمِ، وَقَادَةَ الأُمَمِ، وَأَوْلِيَاءَ النِّعَمِ، وَعَنَاصِرَ الأَبْرَارِ، وَدَعَائِمَ الأَخْيَارِ، وَسَاسَةَ الْعِبَادِ، وَأَرْكَانَ الْبِلاَدِ، وَأَبْوَابَ الإِيمَانِ، وَأُمَنَاءَ الرَّحْمَنِ، وَسُلاَلَةَ النَّبِيِّينَ، وَصَفْوَةَ الْمُرْسَلِينَ، وَعِتْرَةَ خِيَرَةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ...».(من لا يحضره الفقيه:٢/٦١٠)

فالحق أنّ هذه الأوصاف جاءت رائعة لتبيّن حقيقة أهل

البيت عليهم السلام وما هم عليه، وأنّهم الحلقة الرابطة بين الإنسان وبين الله تبارك وتعالى، فبيدهم كل شيء، السلطتين التشريعية والتكوينية.

فما أراده الإنسان يستطيع أن يحصل عليه منهم، فهم الرحمة والمغفرة والبركة والخير والبر، وهم أبواب الإيمان والإرشاد إلى الصلاح.

وليست الولاية التكوينية بالأمر المستحيل، فقد أعطاه الله تعالى للأنبياء والأولياء عليهم السلام كما هو مذكور في القرآن الكريم، بل إنّ من أطاع الله تعالى حقّ طاعته فإنه يقدر على التصرّف في الكون كرامة له من الله تعالى؛ ففي الحديث القدسي: «إنّ لله عباداً أطاعوه فيما أراد فأطاعهم فيما أرادوا، يقولون للشيء كن فيكون». (الجواهر السنية:٧٠٩)

وقال تعالى في حديث قدسي آخر: «يَا ابْنَ آدَمَ أَنَا غَنِيٌّ لا أَفْتَقِرُ، أَطِعْنِي فِيمَا أَمَرْتُكَ، أَجْعَلْكَ غَنِيّاً لا تَفْتَقِرُ؛ يَا ابْنَ آدَمَ أَنَا حَيٌّ لاَ أَمُوتُ، أَطِعْنِي فِيمَا أَمَرْتُكَ، أَجْعَلْكَ حَيّاً لا تَمُوتُ؛ يَا ابْنَ آدَمَ أَنَا أَقُولُ لِلشَّيْءِ كُنْ فَيَكُونُ، أَطِعْنِي فِيمَا أَمَرْتُكَ، أَجْعَلْكَ تَقُولُ لِلشَّيْءِ كُنْ فَيَكُونُ». (بحار الأنوار:٩٠/٣٧٦)

فالأمة التي كانت قياداتها ممن تنزل عليهم الملائكة، وممن يهبط عليهم الوحي، ومعدن الرحمة والرضوان، وممن كانوا خزّان العلم ومنتهى الحلم وأصول الكرم؛ فهي الفائزة يوم القيامة، كما قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في حديث الكساء حينما سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الأجر الذي يعطيه الله تعالى لمن يذكر أهل البيت فقال: «يا رَسُولَ اللهِ أَخبِرني ما لِجُلُوسنا هَذا تَحتَ الكساءِ مِنَ الفَضلِ عندَ اللهِ؟ فَقالَ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه وسَلَّم: وَالَّذي بَعَثَني بِالحَقِّ نَبيّاً وَاصطَفاني بِالرِّسالَةِ نَجيّاً، ما ذُكِرَ خَبَرُنا هذا في مَحفِلٍ من مَحافِلِ أَهلِ الأَرضِ وَفيهِ جَمعٌ من شيعَتنا وَمُحِبيّنا إلاّ وَنَزَلَت عَلَيهِمُ الرَّحمَةُ، وَحَفَّت بِهِمُ المَلائِكَةُ وَاستَغفَرَت لَهُم إلى أَن يَتَفَرَّقُوا؛ فَقالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلام: إذاً وَاللهِ فُزنا وَفازَ شيعَتُنا وَرَبِّ الكَعبَةِ؛ فَقالَ أَبي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه وسَلَّم: يا عَلِيُّ وَالَّذي بَعَثَني بِالحَقِّ نَبيّاً وَاصطَفاني بِالرِّسالَةِ نَجيّاً ما ذُكِرَ خَبَرُنا هذا في مَحفِلٍ مِن مَحافِلِ أَهلِ الأَرضِ وَفيهِ جَمعٌ مِن شيعَتنا وَمُحِبّينا وَفيهِم مَهمُومٌ إلاّ وَفَرَّجَ اللهُ هَمَّهُ وَلا مَغمُومٌ إلاّ وَكَشَفَ اللهُ غَمَّهُ وَلا طالِبُ حاجَةٍ إلاّ وَقَضى اللهُ حاجَتَهُ؛ فَقالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلام: إذاً وَاللهِ فُزنا وَسُعِدنا، وَكَذلِكَ شيعَتُنا فازوا وَسُعِدوا فِي الدُّنيا وَالآخِرَةِ وَرَبِّ الكَعبَةِ». (مفاتيح الجنان:٧٨٧)

فإنّ في ذكر أهل البيت عليهم السلام الفوز بالجنة والرضوان، فضلاً عن محبّتهم وموالاتهم، التي هي لا تتحقّق إلا بإطاعتهم والتبري من أعدائهم.

لذا فمن تعرّف على النبي والأئمة عليهم السلام، عشقهم.. ومن عشقهم تأثّر بهم.. ومن تأثّر بهم اقتدى بهم.. ومن اقتدى بهم وصل إلى الكمال الإنساني.. والفوز بالجنة رضا الله تعالى.. وذلك هو الفوز العظيم.. فحق لمن عرف فضلهم ومقامهم وعلوّهم أن يشكرهم ويدعو لهم في آناء الليل وأطراف النهار، قائماً وقاعداً وعلى جنبيه.

رابعاً: أنّهم أفضل الخلق

وردت الروايات الشريفة في أفضلية نبيّنا الأعظم محمد صلى الله عليه وآله وسلم على كافّة المخلوقات حتى الأنبياء والمرسلين والملائكة المقرّبين، وهو كما نقرأ في حديث الإسراء والمعراج؛ وكذا بعده أئمتنا الأطهار عليهم السلام، فإنّ عليه السلام من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو منهم، فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أَنَا سَيِّدُ وُلْدِ آدَمَ وَلاَ فَخْر». (صحيفة الإمام الرضا عليه السلام:٥٢)

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً قال: «إِنَّ اللهَ اخْتَارَ مِنَ الأَيَّامِ الْجُمُعَةَ، وَمِنَ الشُّهُورِ شَهْرَ رَمَضَانَ، وَمِنَ اللَّيَالِي لَيْلَةَ الْقَدْرِ؛ وَاخْتَارَ مِنَ النَّاسِ الأَنْبِيَاءَ، وَاخْتَارَ مِنَ الأَنْبِيَاءِ الرُّسُلَ، وَاخْتَارَنِي مِنَ الرُّسُلِ، وَاخْتَارَ مِنِّي عَلِيّاً؛ وَاخْتَارَ مِنْ عَلِيٍّ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ؛ وَاخْتَارَ مِنَ الْحُسَيْنِ الأَوْصِيَاءَ، يَنْفُونَ عَنِ التَّنْزِيلِ تَحْرِيفَ الضَّالِّينَ وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ، تَاسِعُهُمْ بَاطِنُهُمْ ظَاهِرُهُمْ قَائِمُهُمْ». (مقتضب الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر:١٠)

خامساً: أنّهم الواسطة في الفيض الإلهي

الحاجة إلى المعصومين عليهم السلام حاجة كونية قهرية لا يُستغنى عنها، بالاضافة إلى الحاجة إليهم من ناحية القيادة والتشريع، فما ينزل من السماء إلى الأرض



من الأمور التشريعية والحوادث الكونية المرئية وغير المرئية فإنّما هو بواسطتهم، على أساس أنّ الله (أبى أن يجري الأمور إلاّ بأسبابها)، وهم الأسباب التشريعية والكونية، يدلّ على ذلك قوله تعالى: ﴿ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾. (القدر:٤)

فالملائكة بجميع أصنافهم كملائكة الرزق وملائكة الحياة والموت وملائكة الأمواج، تنزل ليلة القدر بالأوامر الإلهية على الوسيط الذي قد يكون نبيّاً وقد يكون إماماً لكي تُنَفّذ عن طريقه.

فعن الإمام أبي الحسن عليه السلام أنّه قال: «مَا مِنْ مَلَك يُهْبِطُهُ اللهُ فِي أَمْرٍ إِلاَّ بَدَأَ بِالإِمَامِ فَعَرَضَ ذَلِكَ عَلَيْهِ، وَإِنَّ مُخْتَلَفَ الْمَلاَئِكَة مِنْ عِنْدِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَى صَاحِبِ هَذَا الأَمْرِ». (بصائر الدرجات:١/٩٥،ح٢٢)

النقطة الثالثة

لابدّ من الارتباط المتين بالمعصومين عليهم السلام سواء من ناحية القلب أو اللسان أو العمل...، والصلاة عليهم تمثّل أحد أوجه الارتباط معهم سلام الله عليهم، ونعني بالارتباط بالمعصومين عليهم السلام؛ الارتباط القائم على أساس أمرين:

الأول: التبرّي من أعدائهم، ومن مبغضيهم، وهذا أساس الولاية، فإنّ توليهم لا تكون إلا بالتبري من أعدائهم؛ فمثله مثل الغرفة المملوءة بالتراب والكدر، حينما يريد الإنسان أن يدخل هذه الغرفة عليه أوّلاً أن ينظفها من الشوائب وبعد ذلك يقوم بترتيب الغرفة، وتزيينها؛ فعملية التبري هو تنظيف القلب من الشوائب ومن الأوساخ.

والثاني: المودّة لهم، الذي يأتي بعد التربي من أعدائهم، والاقتداء بهم هذا الارتباط الذي يجعل المصلّي في جهاد دائم مع النفس للوصول إلى القرب منهم عليهم السلام، فإنّ القرب من ينبوع الحكمة والعلم والكمال المطلق يوجب بلوغ الإنسان إلى الكمال، كما أنّ البعد يوجب الحرمان منه، الارتباط الذي يجعل المصلّي ينظر إليهم باعتبارهم الأدلاّء على مرضاة الله تعالى، والهداة إلى دين الله تعالى، فيتخلّق بأخلاقهم، ويتأدّب بآدابهم...، ولا يعني الارتباط بهم مجرد الإعجاب بذواتهم وأشخاصهم، والتبرّك بذكرهم وآثارهم، دون العمل بوصيّتهم وأقوالهم والاقتداء بأفعالهم.

النقطة الرابعة

إنّ الصلاة على محمد وآل محمد تمثّل التولّي والتبري، أما التولّي فمن جهتين:

الأولى: فدعاء الله تعالى كي يتعطف عليهم بالرحمة والبركة... نوع من أنواع التولي، مقابل التبرّي من أعدائهم، حيث ندعو الله تعالى أن يطردهم من رحمته فنقول: (اللهم العن فلاناً و...).

الثانية: تتعلّق بإعلان الولاء (لآل محمد عليهم السلام) برفع ذكرهم، وإقرانهم برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، مقابل الذين حرّفوا الصلاة عليهم تحريفاً لفظياً ومعنوياً، فبعضهم منع من ذكر (الآل) عداوة ونصباً، والآخر ذكرهم مع قصده لنساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وأمّا من ناحية التبرّي، فالصلاة على محمد وآل محمد عليهم السلام تمثّل الانفصال والبغض لأعداء الله تعالى من الشياطين، والكفّار، وأئمة الضلال والانحراف، وهذا هو معنى التبرّي، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ﴾. (الممتحنة:١)

فإنّ التبرّي والتولي من أهم الأسس التي قام عليها الدين.

* شعبة الدراسات والبحوث

الفاجعة الأليمة

كان قد بقي يوم من شهر ذي القعدة عام ٢٢٠ هجرية وقد استشهد الإمام الجواد عليه السلام في بغداد، بعيداً عن أهله ومدينة جده المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، غريباً، وقد سمّه الحاكم العباسي لعنه الله بيد أم الفضل زوجة الإمام الجواد عليه السلام.

فكان الإمام الهادي عليه السلام في المدينة المنورة نائماً فاستيقظ مرعوباً فخافوا عليه وسألوه عن ذلك.

فقال عليه السلام: «مات أبي الساعة». فقالوا: لا تقل هذا. قال عليه السلام: «هو والله كما أقول».

فكتبوا ذلك اليوم والساعة فكان كما قال عليه السلام بدقة.

كان عليه السلام في الثامنة من عمره الشريف حينما استلم المواريث.. فقام بمهمة الإمام خير قيام وكان الشيعة يعرفونه بأنه هو الوريث الشرعي لوالده وهو الإمام المفترض الطاعة بعد أبيه الإمام الجواد عليه السلام بنص منه ومن آبائه ومن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وفي حديث الخيراني عن أبيه الذي كان يخدم الإمام الجواد عليه السلام وكان إذا حضر الرسول الذي يختلف بين أبي جعفر وبين الخيراني قام أحمد الأشعري وخلا به.

قال الخيراني: فخرج ذات ليلة وقام أحمد بن محمد ابن عيسى عن المجلس وخلا بي الرسول واستدار أحمد فوقف حيث يسمع الكلام فقال الرسول: إنّ مولاك يقرأ عليك السلام ويقول لك: «إني ماض والأمر صائر إلى ابني علي وله عليكم بعدي ما كان لي عليكم بعدي ما كان لي عليكم بعد أبي».

ثم مضى الرسول ورجع أحمد إلى موضعه، فقال لي: ما الذي قال لك..؟ قلت: خيراً، قال: قد سمعت ما قال، وأعاد عليّ ما سمع فقلت له: قد حرّم الله عليك ما فعلت لأنّ الله تعالى يقول: ﴿ وَلا تجسّسوا ﴾. (الحجرات:١٢)

فإذا سمعت فاحفظ الشهادة لعلنا نحتاج إليها يوماً



وإيـاك أن تظهرهـا إلى وقتها.

قـال: وأصبحـت وكتبت نسـخة الرسـالة في عشـر رقاع وختمتهـا ودفعتهـا إلى عشـرة من وجـوه أصحابنـا وقلت: إن حـدث بـي حدث الموت قبـل أن أطالبكم بهـا فافتحوها واعملـوا بما فيها.

فلمـا مضى أبو جعفر عليه السـلام لم أخرج من منزلي حتى عرفت أن رؤوس العصابة قد اجتمعوا عند محمد بن الفرج يتفاوضون في الأمـر (أي الإمامة) فكتب إليّ محمد ابن الفرج يعلمني باجتماعهم عنده.

فقـال: لـولا مخافـة الشـهرة لصـرت معهـم إليـك فأحـب أن تركب إليّ، فركبت وصـرت إليه فوجدت القوم مجتمعـين عنده فتجارينا في الباب (أي الإمامة) فوجدت أكثرهم قد شـكّوا (أي في الإمـام) فقلت لمن عنده الرقاع وهم حضـور: أخرجـوا تلك الرقـاع، فأخرجوهـا، فقلت لهم: هذا مـا أمرت به.

فقـال بعضهم: قد كنا نحـب أن يكون معك في هذا الأمر آخر (أي كشاهد) ليتأكد القول.

فقلـت لهـم: قـد أتاكـم الله بما تحبـون هذا أبـو جعفر الأشـعري يشهد لي بسـماع هذه الرسالة فاسـألوه، فسأله القـوم، فتوقـف عن الشـهادة فدعوتـه إلى المباهلة فخاف منها وقال: قد سمعت ذلك وهي مكرمة كنت أحب أن تكون لرجـل من العـرب فأما مـع المباهلة فلا طريـق إلى كتمان الشـهادة فلم يبرح القوم حتى سـلموا لأبي الحسن الهادي عليه السـلام. (بحار الأنـوار: ٥٠/١١٩، ح٣)

فالذي نسـتفيد من هـذا الحديث الشـريف وأمثاله من الأحاديـث التـي رويت في تلـك الحقبة الزمنيـة أمور عدة وإشـارة مهمة جداً.

وأهمهـا هـو وضـع الأمـة الإسـلامية ككل ومحبتهـا وتعاطفهـا مع أهـل البيت عليهم السـلام ووضـع الطائفة الموالية لأئمـة الهـدى بالخصوص.

فكانـت لهـم مجالسـهم واجتماعاهـم وتفاوضهـم في الشـؤون الاجتماعيـة والسياسـية والقضايـا التي تهم الطائفـة بشـكل عام.

والأهـم مـن كل ذلك هـو معرفة الإمـام وتسـليمها إليه أمـور الإمامة والحقوق الشـرعية وتسـلّم الأمـور الفتوائية والعباديـة منه والرجوع إليه في المسـائل المسـتجدة.

وكذلـك اسـتلهام التوجيـه المبارك من مقامه الشـريف وتعليماتـه إلى وكلائـه في البـلاد وتعاليمـه إلى الأمـة الإسـلامية جمعاء.

والعصابـة - أي أهـل العلـم والفضـل - أجمعـوا على إمامـة الإمـام الهادي عليه السـلام بعد استشـهاد الإمام الجـواد عليه السـلام فراح يدير شـؤون الأمة الإسـلامية ويبين لهم الأحكام الشـرعية ويوجّه الوكلاء ويقود الناس كقوّة فاعلة في المجتمع في مقابل السـلطة العباسية الظالمة.

فكانـت قـوة الطائفة مـن الناحية الروحية والنفسـية والمعنويـة عاليـة جداً، وأما مـن ناحية العدد والانتشـار والقـوّة الاقتصاديـة فكانت تشـكل خطـراً على الخلافة العباسـية كلها.

وهـذا مـا استشـعره والي المدينة المنـورة مـن قبـل العباسـيين وكذلـك استشـعره أمـيره الحاكم العباسـي شخصياً! فأرسل يستدعي الإمام علياً الهادي عليه السلام ليكـون قريبـاً منـه وتحت أنظـاره، وفرض عليـه الإقامة الجبريـة في مدينة المعسـكر سـر مـن رأى (سـامراء).

وهي مدينـة بنيت خصيصـاً للجند والقادة ويسـكنوها أيام السلم وفي أوقات الاستراحة، وأسكن الحاكم العباسي المتوكل الإمام علياً الهادي عليه السلام بها من أجل المراقبة الدقيقة لتحركاته ونشاطه الرسالي المعهود.

وكانـت مكانـة الإمـام الهادي عليـه السـلام في المدينة عالية جداً، وهذا مسـتفاد من رواية يحيى بن هرثمة الذي أشـخص الإمام عليه السـلام إلى سـامراء، فيقول بذلك: فلما صرت إليها ضج أهلها وعجّوا ضجيجاً ما سمعت مثله، ويقول: فأشـخصته وتوليت خدمتـه، وهذا أمر واضح بيّن.





في رياعين الشباب

كرع جعفر كأسين وأراد أن يتناول الثالث عندما سأله عمّه: هل سألت أختك عن الفاكهة التي يحبّها؟

قال جعفر: نعم. قال العم: ماذا يعجبه؟ قال جعفر: العنب الرازقي. قال العم: فماذا تنتظر إذن؟!

عبّ جعفر بقية الكأس في جوفه وقال: إنّها لا تريد أن تفعل.. قالت: ألا يكفي المنديل؟!

قال العم: احمل إليها الجواهر والذهب، وتحدث معها عن الحياة في القصور، ثم الزواج بمن تشاء من شبّان بني العباس.

قال جعفر: سأزورها غداً. قال العم: بل اليوم ولا تنس أن تأخذ معك سلة من العنب، عنب الرازقي، وسلتين من ذهب، أفهمت؟ قال جعفر: سأفعل ذلك.

ستنادمني الليلة، وسنتعشى معاً، وستغنّيك الجواري الحسان، وترقص من أجلك القيان وانتشى جعفر وهو يتخيل مشاهد الليلة الحالمة.

كان جعفر يترنح في طريقه إلى منزل أخته يحمل معه ذهباً وعنباً ولؤلؤاً منضوداً وضعها بين يدي المرأة، فبرقت الأطماع في عينيها، حاولت أن تجد لها مبرراً، استعادت ذاكرتها مشهد الفتاة السمراء التي دخلت عليها ذات يوم وقالت أنها زوجته.

استعادت أحقاد الغيرة ورغبتها في الانتقام، صحيح أن تلك السمراء بعيدة عن بغداد وتفصلها آلاف الأميال، ولكنها تدرك أيضاً أن قلب زوجها هناك، وإلا فما سر حزنه؟ وما سر شوقه إلى المدينة؟ وما سر إعراضه عن حضور الحفلات في القصور؟

قال جعفر وقد تأججت عيناه بالجريمة: العنب الرازقي سينهي كل شيء، سوف تهنئين بالحياة مرة أخرى، آه ما أحلى الحياة في القصور وصائف وجواري وغلمان وذهب وحرير.

أطرقت المرأة ونهض جعفر فسكوتها يعني رضاها.

وفي العشاء، وضعت المرأة بين يدي زوجها طبقاً فيه ثلاثة عناقيد من عنب، كانت تنظر إلى زوجها وتنظر على حبّات العنب التي بدت وكأنها رؤوس الحيات، حيات لا أنياب لها.

وعندما مد يده ليأكل كادت المرأة الغادرة تصرخ، تناول حبّتين ووقعت عيناه على امرأته، كان وجهها مصفراً، لم تحتمل نظراته.. وفرّت مذعورة أدرك الشاب أن العنب مداف بالسمّ، اشتعلت مرّة أخرى الآلام الرهيبة في أحشائه.. آلام تشبه آلاف السكاكين.. وقد أحس بهذه الآلام مراراً وتكراراً قبل هذا.. لأنها لم تكن أول مرة المرأة تعطي له السم.. لكن هذه المرة أكل السم أمعاءه.

هتف بلوعة ومرارة: آه منك يا غادرة.. سينزل بك البلاء.. والفقر لن ينفعك الفرار، وستلاحقك اللعنة، إلى الأبد.

لجأت المرأة الغادرة إلى قصر الخليفة الذي أرسل في السَحَر رجلاً بحجة تفقد حالة الإمام الشاب!

ونظر الرجل إلى الشاب الذي انطوى على آلامه.. وانبعث سؤال في أعماقه: ما الذي يخشاه الجبابرة في هذا الفتى النبيل؟ لعلّ جريمته أنه كان طاهراً في زمن الفساد.. كريماً جواداً في زمن البخل.. شفافاً في زمن تكاثفت فيه المادّة وأصبح الإنسان مخلوقاً من طين

مـن صلصــال من حمأ مسـنون ليـس فيه روح الإنسـان.. وجريرتـه إذن إنّـه عاشـ مـلاكاً في زمـن تعربـد فيـه الشـياطين.. وفراشـة بيضـاء في زمـن الزمهرير.

وهمسـ الإمـام وقد قرأ ما يمـوج في أعمـاق الرجل: نحن معشـر إذا لم يرض الله لأحدنـا الدنيا نقلنا إليه.

وفي الصبـاح وفيمـا كان المعتصـم يسـتعد للسـفر إلى سـامراء قـال الرجـل: إنه يشـكو آلامـاً في أمعائه.

التفـت المعتصـم إلى قائـده التركـي أشناسـ وحدثـه بالتركيـة. همز أشناسـ حصانه بقسـوة وانطلـق الحصان العربي الأصيل في مهمـة قذرة. وفي الضحى طرق أحد كتّاب القصـر منزل الإمـام ووجه إليـه دعوة لزيارتـه في منزله.

قال الإمام معتذراً: أنت تعلم أني لا أحضر مجالسكم!

أجـاب الكاتب وهـو لا يعلم بمخطـط الجريمـة: إني إنما أدعوك لتناول الغداء وتدخل منزلي فأتبرك بذلك، وقد أحبّ بعض الوجهاء لقاءك.

بعـد صـلاة الظهر توجـه الإمـام إلى منـزل الرجل الذي استقبل ضيفه بحفاوة بالغة.. وفيما كان الإمام يتناول طعامه علـى مهل دخل أشناسـ المنزل.. كان يحمل معـه قنينة فيها شـراب حامض.. قال أشناسـ بغلظة: إن أمير المؤمنين سمع بعلّتك وقد أرسـل إليك شراب حمّاض الأترج ويقول إنه ذاقه قبل أحمد بن داؤد وسعيد بن الخضيب وآخرين.. ويأمرك أن تشربه مع الثلج!

ملأ الرجل قدحاً من (شـربت الخليفـة) ووضع فيه قطعة مـن الثلج.. وتناول الإمام جرعات منـه.. قال صاحب المنزل لضيفـه الكريم: أرجـو أن يضع هذا الشـراب حدّاً لآلامك.

أجاب الإمام وقد شعر بالنهاية: نعم إنه سيفعل ذلك!

ونهض الإمام متحاملاً فهتف الرجل: إلى أين يا سيدي.

أجاب الإمام وهو يشـفق على الرجل فقـد توجه إليه تهمة الاغتيال: خروج من دارك خير لك.

تفجّـرت آلام رهيبـة في أمعائـه.. لكأن الجحيم تسـتعر.. وأصيب الشاب بنوبة من الإسهال الحاد.. وكان جسمه الغض يذوي بسـرعة رهيبة.. وروحه تشتد سـطوعاً وعيناه تتألقان بنور شـفاف.. لقد أزفت لحظة الرحيل.

وتذكر الشـاب والده.. ولحظات الوداع يـوم فارقه صغيراً كان عمره يومذاك سـت سـنين.. وها هو يودّع ابنه في المدينة وعمره ست سنين أيضاً.

وهمس بصوت فيه حشرجة الوداع الأخير: لك الله يا بني.

وأمـر بإحضار السـيف الذي اشـتراه له، فقبلـه وأكّد مرّة أخرى على إرسـاله إلى ابنه.

وهمسـ متضرعـاً إلى الله: اللّه ربّ الملائكـة والـروح؛ والنبيـين والمرسـلين؛ وقاهـر مـن في السـماوات والأرضين؛ وخالـق كل شـيء.. كـفّ عنه بأسـ أعدائك.

ومـن خلال نافـذة مشـرعة نحو السـماء راحـت العينان المتألقتـان بالنـور تسـافران إلى عالم النور.. عـالم الحقيقة الوحيدة الأبدية: يا من لا شبيه له ولا مثال! أنت الله لا إله إلاّ أنت؛ ولا خالق سواك تفني المخلوقين وتبقى.. يا الله.. وجودك هو الحق الوحيد؛ في عالم الأباطيل.. أنت السلام.. والسكينة والـروح؛ كل مـا في الكون أثـر لخطاك؛ وهذه الشمسـ أيضاً جزء من ظلك الوارف؛ لقد غدر بي الجميع؛ فجئت لائذاً بك؛ ومـا دمت تخفق في قلبي.. فإنني لن أموت.

وفي المدينـة المنـورّة كان الصبـي الذي ودّعـه أبوه من قبل جالسـاً مع أترابـه في حضرة المؤدّب عندما شـعر بموجة من الحزن تجتاحـه وتغمر وجوده.

وشعور غريب ومدمّر باليتم يجتاح روحه.

إن جسـده الغض يقشـعر.. وأنـوار باهـرة تضـيء أعماقـه الخضـراء.

وحالـة لا يمكـن وصفها من الاتحـاد بالوجود والتسـامي، ونـداءات عميقـة تـدوّي: الله.. الله.. الله.. لم يعد يسـتطيع التحمّل أكثر من هذا.. أن روحه الشفافة تذوب.. وتتحول إلى دموع وإحساسـ بالفجيعة ورحيل السـلام يغمر كيانه.

تفجّـرت عينـاه ينابيع مـن دمع ومن أسـىً شـفيف.. هبّ راكضاً إلى منزله يبكي فيما فغر المؤدّب فاه دهشـة: ما الذي حَصل للصبي؟!

مـا الـذي دهـاك يا بـن الرسـول؛ أجـاب الصبـي بلوعة اليتامـى: لقد تـوفي أبي.

كيـف علمت؟! أجـاب ابن آخر الأنبيـاء: دخلني من جلال الله شـيء علمت معه أنّ أبي قد مضى.

مضت أيام وجاءت خيول البريد.. بريد بغداد.

لقـد توفي الجواد ووري الثرى في مقابر قريشـ.. إلى جنب جدّه موسى.. إنا لله وإنا إليه راجعون.

وهذا السيف هدية إلى ابنه علي!

أمسـك الصبي بالسـيف الـذي تألّـق كأنه شـعلة ودمعت عيناه.. ثم قـام بأمر الله.

بقلم: كمال السيد عاشور



العرب والعراقيون عند أمير المؤمنين عليه السلام

قال أمير المؤمنين (عليه السلام) في الخطبة رقم [٢٧] بترقيم المعجم: «عجباً واللّه يميت القلب ويجلب الهم، من اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم، وتفرقكم عن حقكم، فقبحاً لكم وترحاً، حين صرتم غرضاً يرمى، يغار عليكم ولا تغيرون، وتُغزون ولا تَغزون، ويعصى اللّه وترضون، فإذا أمرتكم بالسير إليهم في أيام الحر قلتم: هذه حمَّارة القيظ... يا أشباه الرجال ولا رجال، حلوم الأطفال، وعقول ربات الحجال، لوددت أنّي لم أركم ولم أعرفكم، معرفة واللّه جرت ندماً، وأعقبت سدماً، قاتلكم اللّه لقد ملأتم قلبي قيحاً، وشحنتم صدري غيظاً، وجرعتموني نغب التهمام أنفاساً...».

وقال في الخطبة رقم [١٢١] بترقيم المعجم: «هذا جزاء من ترك العقدة! أما واللّه لو أني حين أمرتكم به حملتكم على المكروه الذي يجعل اللّه فيه خيراً فإن استقمتم هديتكم، وإن اعوججتم قومتكم، وإن أبيتم تداركتكم، لكانت الوثقى؛ ولكن بمن وإلى من؟! أريد أن أداوي بكم وأنتم دائي، كناقش الشوكة بالشوكة، وهو يعلم أن ضلعها معها؛ اللهم قد ملت أطباء هذا الداء الدوي، وكلت النزعة بأشطان الركي؛ أين القوم الذين دعوا إلى الإسلام فقبلوه، وقرؤوا القرآن فأحكموه، وهيجوا إلى الجهاد فولهوا وله اللقاح إلى أولادها الخ...».

وقال (عليه السلام) في الخطبة رقم [١٨٠] بترقيم المعجم المفهرس للدشتي: «أحمد اللّه على ما قضى من أمر، وقدر من فعل، وعلى ابتلائي بكم أيتها الفرقة التي إذا أمرت لم تطع وإذا دعوت لم تجب إن أمهلتم خفتم، وإن حوربتم خُرتم وإن اجتمع الناس على إمام طعنتم».(شرح نهج البلاغة للمعتزلي:٦٧/١٠)

وقال (عليه السلام) في الخطبة رقم [٢٠٨] بترقيم المعجم المفهرس للدشتي: «أيها الناس إنه لم يزل أمري معكم على ما أحب حتى نهكتكم الحرب، وقد واللّه أخذت منكم وتركت وهي لعدوكم أنهك، لقد كنت أمس أميراً فأصبحت اليوم مأموراً وكنت أمس ناهياً فأصبحت اليوم منهياً وقد أحببتم البقاء وليس لي أن أحملكم على ما تكرهون».(شرح نهج البلاغة للمعتزلي:٢٩/١١)

وقال (عليه السلام) في الخطبة رقم [١٩٢] بترقيم المعجم: «ألا وإنكم قد نفضتم أيديكم من حبل الطاعة، وثلمتم حصن اللّه المضروب عليكم بأحكام الجاهلية الخ...».

وقال (عليه السلام) في الخطبة رقم [١٩٢] بترقيم المعجم: «واعلموا أنكم صرتم بعد الهجرة أعراباً، وبعد الموالاة أحزاباً؛ ما تتعلقون في الإسلام إلا باسمه، ولا تعرفون من الإيمان إلا رسمه؛ ألا وقد قطعتم قيد الإسلام وعطلتم حدوده، وأمتم أحكامه».

العرب وقريش عند علي عليه السلام

كانت تلك بعض كلمات أمير المؤمنين (عليه السلام) في بيان حال أصحابه، كما وردت في كتاب نهج البلاغة.

ولعل أكثر ما تقدم قد صدر عنه (عليه السلام) بعد حرب الجمل، وصفين كما يظهر، بل هو صريح بعض النصوص الآتية.

وتلك الكلمات ناطقة بأنه (عليه السلام) كان يعاني من مشكلات كبيرة مع أصحابه، وأنهم كانوا لا يطيعونه، ولا ينقادون لأوامره في كثير من الأحوال.

ولا يختص ذلك بالعراقيين، بل هو ينسحب على قريش، وعلى العرب بصورة عامة.

وقد أكدت ذلك النصوص الكثيرة الأخرى أيضاً.

ونحن نشير هنا إلى النصوص التالية:

وقال معاوية، وهو يتحدث عن أمير المؤمنين (عليه السلام) وعن نفسه: (...وكان في أخبث جند، وأشدهم خلافاً؛ وكنت في أطوع جند، وأقلهم خلافاً». (الخوارج في العصر الأموي:٧٠)

وكان أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام) يردد:

ولكني متى أبرمت أمراً
منيت بخلف آراء الطغام

(شرح نهج البلاغة للمعتزلي:١٨/٤)

أن أمير المؤمنين (عليه السلام) قد بلغ في سياسته الحكيمة درجة الإعجاز، فإنه قد قاتل أولاً جيشاً فيه طلحة والزبير، وهما من أهل السابقة في الإسلام، ومعهما التأييد القرشي القوي، وقد كان لقريش نفوذ كبير في الناس ومعهما أيضاً زوجة النبي وابنة الحاكم الأول، ومدلَّلة عمر بن الخطاب، الرجل الذي كان قوله في العرب كالشرع المتبع.

ثم حارب معاوية وجيشه الذي كان أكثر من مئة ألف رجل وقد تحدث معاوية نفسه عن الواقع الذي كان يعاني منه أمير المؤمنين، وعن الامتياز الذي لمعاوية في جيشه من أهل الشام.

ثم حارب خوارج أهل العراق بأهل العراق أنفسهم، فقتلوا أخوانهم وأبناءهم وآباءهم فيهم.

كل هذا قد كان والحال: أنه (عليه السلام) لم يكن جيشه موالياً له، بل لم يكن معه خمسون رجلاً يعتقدون بإمامته.

وكان عدوه في أطوع جيش، حسب قول معاوية؛ وهل يستطيع أحد أن يحارب أعداءه بأعدائه، والحال أن الذين يحاربهم يملكون امتيازات بهذا الحجم، ثم هو ينتصر عليهم جميعاً؟!

إن ذلك لعجيب حقاً وأي عجيب!!

وقد روى الصدوق رحمه الله قال: «حدثني محمد بن الحسن ابن الوليد رضي الله عنه، عن المفضل بن قيس، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: كم شيعتنا بالكوفة؟ قال: قلت: خمسون ألفاً. قال: فما زال يقول، حتى قال: أترجو أن يكونوا عشرين؟ ثم قال (عليه السلام): والله، لوددت أن يكون بالكوفة خمسة وعشرون رجلاً يعرفون أمرنا الذي نحن عليه، ولا يقولون علينا إلا بالحق». (صفات الشيعة:١٤)

فإذا كان هذا هو الحال في زمن الإمام الصادق (عليه السلام) الذي ظهرت فيه الكوفة على أنها عاصمة التشيع لعلي (عليه السلام) وأهل بيته (عليهم السلام)، فما حال الكوفة في زمان أمير المؤمنين علي عليه السلام!

وقد كتب (عليه السلام) إلى أخيه عقيل: «ألا وإن العرب قد أجمعت على حرب أخيك إجماعها على حرب رسول الله (صلى الله عليه وآله) قبل اليوم؛ فأصبحوا قد جهلوا حقه، وجحدوا فضله، وبادروه بالعداوة، ونصبوا له الحرب، وجهدوا عليه كل الجهد، وجرُّوا إليه جيش الأحزاب...». (بحار الأنوار:٦٢١/٨)

وقال (عليه السلام) لعدي بن حاتم في صفين: («أدن»؛ فدنا، حتى وضع أذنه عند أنفه، فقال: «ويحك، إن عامة من معي اليوم يعصيني، وإن معاوية في من يطيعه، ولا يعصيه»). (شرح نهج البلاغة للمعتزلي:٧٧/٨)

ويقول الثقفي: «قد كان الناس كرهوا علياً، ودخلهم الشك والفتنة، وركنوا إلى الدنيا، وقلّ مناصحوه؛ فكان أهل البصرة على خلافه والبغض له، وجلّ أهل الكوفة، وقراؤهم، وأهل الشام، وقريش كلها». (الغارات:٤٥٤/٢)

ويقول أيضاً: «...وكانت قريش كلها على خلافه مع بني أمية». (الغارات:٥٦٩/٢)

وحين قيل لعلي (عليه السلام) لما كتبت الصحيفة: إن الأشتر لم يرض بما في هذه الصحيفة، ولا يرى إلا قتال القوم، فقال علي (عليه السلام): «بلى، إن الأشتر ليرضى إذا رضيت»، إلى أن قال: «ليت فيكم مثله اثنين، بل ليت فيكم مثله واحداً يرى في عدوه مثل رأيه، إذن لخفَّت عليّ مؤونتكم ورجوت أن يستقيم لي بعض أودكم». (صفين:٥٢١)

أما ابن كثير، فيقول: «واستقر أمر العراقيين على مخالفة علي فيما يأمرهم، وينهاهم عنه، والخروج عليه، والبعد عن أحكامه، وأقواله، وأفعاله، لجهلهم، وقلة عقولهم، وجفائهم، وغلظتهم، وفجور كثير منهم». (البداية والنهاية:٣١٧/٧)

وروي عن الباقر (عليه الصلاة والسلام) قوله: «كان علي

ابن أبي طالب (عليه السلام) عندكم بالعراق، يقاتل عدوه، ومعه أصحابه، وما كان خمسون رجلاً يعرفونه حق معرفته، وحق معرفته إمامته...».(اختيار معرفة الرجال:٦)

قريش وحقدها لوصيّ رسول الله صلى الله عليه وآله

إن ذلك النشاط الواسع، الذي كانت تقوم به قريش، ومن يدور في فلكها من الصحابة، وغيرهم، وبالأخص الأخطبوط الأموي، في مختلف أرجاء الدولة الإسلامية، والرامي إلى تأليب الناس ضد علي (عليه السلام)، وصرفهم عن تأييده ونصره – إن ذلك – ليدل على مدى حقدهم على علي (عليه السلام) وكرههم لأمره.

وقد كانت قريش على درجة عالية من التمرس في حياكة المكائد، وفي مكر السياسة، وكانت تتمتع بدرجة عالية من النفوذ بين الناس عموماً لأسباب عديدة.

وسبب حقدها هذا على علي (عليه السلام) يرجع إلى أمور كثيرة، فهو قد قتل في حرب بدر من رجالها وصناديدها نصف السبعين، وشارك في قتل النصف الآخر.(الصحيح من سيرة النبي للعاملي:٣/٢٠٢)

الذين كانوا كأن وجوههم سيوف الذهب، على حد قول عثمان لعلي (عليه السلام) مباشرة.(الجمل:٩٩)

هذا.. بالإضافة إلى حسدها القوي له (عليه السلام)، وبغيها عليه، لما كان يتمتع به من فضائل ومزايا؛ ثم العناية الخاصة التي كان النبي (صلى الله عليه وآله) وسلم يوليه إياها.. ولأمور أخرى.. وقد ذكر ذلك أبو الهيثم بن التيهان رحمه الله تعالى، في كلام له هام وجيد.(الأوائل لأبي هلال العسكري:١/٣١٦)

كما أن الثقفي يقول: (كانت قريش كلها على خلافه مع بني أمية).(الغارات:٢/٥٦٩)

وأمير المؤمنين (عليه السلام) نفسه قد أعلن في مناسبات كثيرة عن عداء قريش له، وتصغيرها عظيم منزلته، وبغيها عليه، وسعيها إلى نقض أمره، وتمييع قضيته، والنصوص في هذا المجال كثيرة.(أنساب الأشراف:٢/٧٤)

ورسالته (عليه السلام) لأخيه عقيل التي يقول فيها: «إن قريشاً أجمعت على حربه إجماعها على حرب رسول الله...»، هذه الرسالة خير شاهد على ذلك.(المعيار والموازنة:١٨٠)

ولا يجب أن ننسى هنا دعايات معاوية وحزبه ضده (عليه السلام)، فقد كان يتهمه – مثلاً - بأنه كان حاسداً للحكام الثلاثة قبله، باغياً عليهم، وأنه كان يقاد للبيعة كما يقاد الجمل المخشوش.(نهج البلاغة: الرسالة رقم[٢٨])

وأنه لم يزل من أول الأمر معجباً بنفسه، مدلاً بقرابته، لا يرى لغيره حقاً في الخلافة.

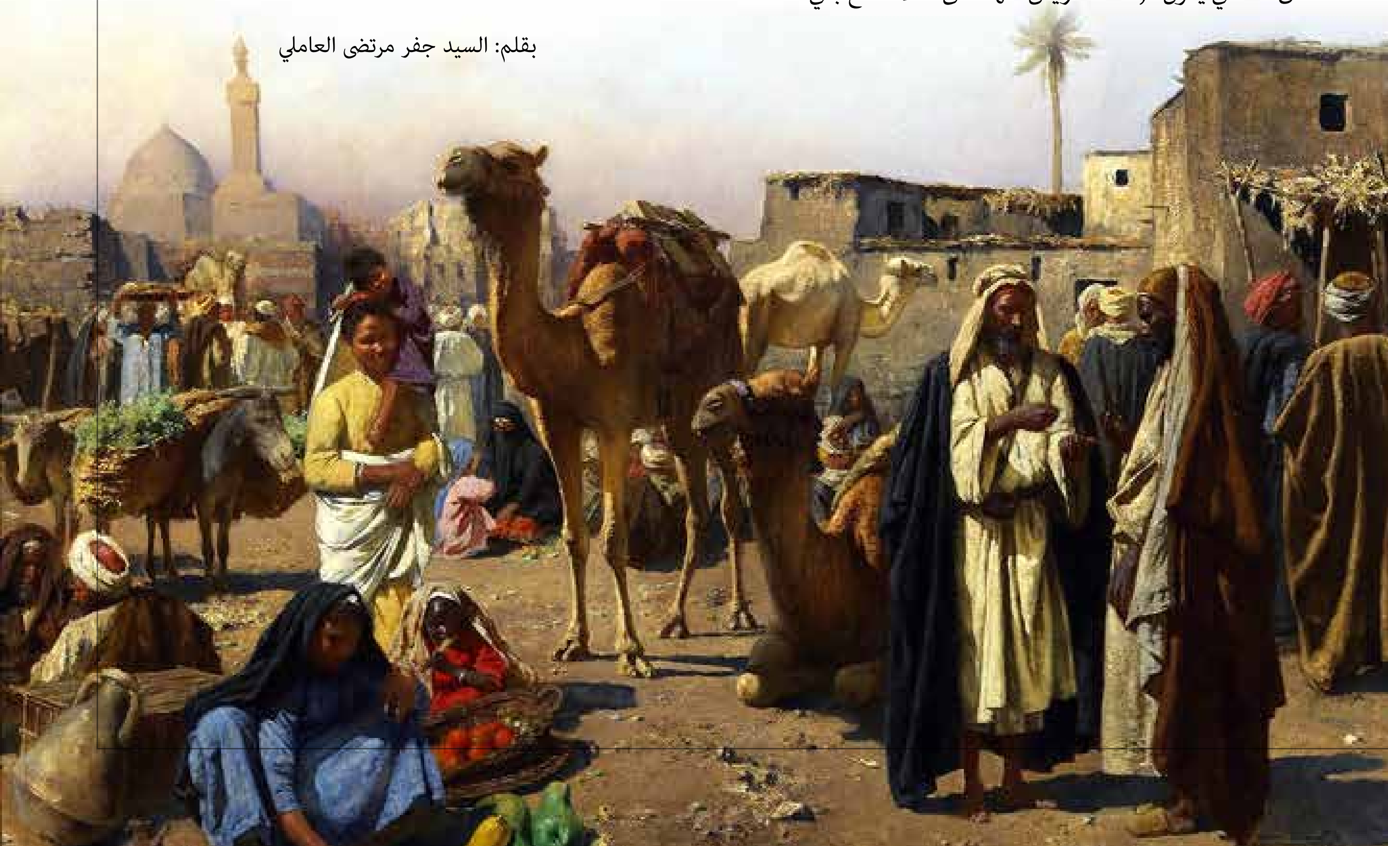
وأنه كان هو السبب في مقتل عثمان.(نهج البلاغة: كتابه رقم [٥٧])

مع العلم أنّ معاوية هو الذي خطّط لقتل عثمان بن عفان وقد أرسل من يقتله في بيته.

وإلى غير ذلك من دعايات مغرضة، تهدف إلى إبعاد الناس عنه، والحط منه (عليه السلام)، والنيل من شخصيته (عليه السلام).

إذن بالنسبة لقريش، وسائر العرب وموقفهم منه عليه آلاف التحية والسلام، يحتاج إلى مزيد من البحث والتقصي، لعوامله وأسبابه، وبوادره، وآثاره.

بقلم: السيد جفر مرتضى العاملي





نهج البلاغة ونظرة الغرب له

إن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، تعبير عن نهج إنساني يمكن أن يكون دواء لكل داء يصيب الأمة، كتلك الأمراض الاجتماعية والسياسية التي أصيبت بها شعوبنا العربية والإسلامية، اليوم على وجه التحديد.

لقد رسم الإمام بنهجه الإنساني والرسالي معالم الحلول الناجعة للأمراض التي تصيب الأمة في أي وقت من الأوقات، ولذلك لا نستغرب عندما تقول هيئة الأمم المتحدة وفي القرن الواحد والعشرين، أي بعد مرور قرابة (١٤) قرناً على استشهاد الإمام في مدينة الكوفة المقدسة، في تقرير برنامج التنمية الإنمائي وحقوق الإنسان لعام ٢٠٠٢ والتابع للأمم المتحدة، إنّ الإمام علياً عليه السلام هو رائد العدالة الاجتماعية والسياسية، ويتضمن تقرير الأمم المتحدة المذكور والذي جاء في (١٦٠) صفحة باللغة الانجليزية، مقتطفات من وصايا الإمام أمير المؤمنين عليه السلام الموجودة في نهج البلاغة، والتي يوصي بها عماله وقادة جنده، إذ يذكر التقرير بأنّ هذه الوصايا الرائعة تعد مفخرة لنشر العدالة وتطوير المعرفة واحترام حقوق الإنسان.

نعم لا نستغرب من ذلك، فلقد جسد الإمام بنهجه الإنساني الرباني قيم العدالة والمساواة والأمانة وحقوق الإنسان.

إن ما يؤسف له حقاً، هو أن الآخرين اكتشفوا نهج الإمام، ونحن الأقرب إليه ديناً ومذهباً ولغة وتراثاً وقيماً، ما زلنا لم نكتشف الإمام، إذ ما زال الكثير من المسلمين ممن يدعون أنهم يسيرون على نهج السنة النبوية الشريفة، يتعاملون مع علي من منطلق طائفي بغيض، لأنّ الشيعة تحبه أو لأنّ الجماعة الفلانية بالغت في حبها، أو أن آخرين ألهوه، فإذا كانت قلة قد أخطأت في فهم علي، فما ذنب الإمام في ذلك؟

ولماذا يجب أن يتم التعامل معه بطائفية وكأنه لجماعة دون أخرى، أو لطائفة دون غيرها؟

إلا أننا وللأسف نتعامل مع الإمام ونهجه السياسي والاجتماعي وكأنه تراث في الماضي أو أنّه نهج مثالي لا يمكن الاستفادة منه في العصر الحاضر، أو أنّه دليل طائفية من يتعامل معه أو يسعى لإحيائه في الواقع اليومي، وأنّ كل ذلك خطأ كبير لا نظلم فيه الإمام، فالإمام لا يظلمه جهل الناس به، إنما نظلم أنفسنا أولاً، ونظلم قيمنا التي ندعي أننا نؤمن بها ثانياً.

ولو كان نهج الإمام ماض انقضى أو أنّه نهج مثالي، لما أوصى تقرير الأمم المتحدة المشار إليه، الدول العربية أن تأخذ بهذه الوصايا في برامجها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتعليمية، لأنها (لا تزال بعيدة عن عالم الديمقراطية، ومنع تمثيل السكان، وعدم مشاركة المرأة في شؤون الحياة، وبعيدة كل البعد عن التطور وأساليب المعرفة) على حد قول التقرير.

لو تعامل المسلمون بعقول منفتحة مع نهج علي، لما شوهت عصبة من الإرهابيين الذين ورثوا نهج العنف والانحراف والقتل والنزو على السلطة بغير حق من بني أمية عبر التاريخ، صورة الإسلام الناصعة، وقيم السماء النبيلة التي جاء بها ديننا الحنيف.

ففي نهج علي يكمن السلام والتسامح والحوار والاعتراف بالآخر، واحترام الرأي الآخر، واللين والتعامل الإيجابي مع المعارضة ما لم ترفع السلاح لتفسد في الأرض.

وبنهجه الرسالي والرباني نرسم معالم الديمقراطية الحقيقة التي تتجلى بأبهى صورها بتنازل صاحب الحق عن حقه الشخصي من أجل الصالح العام، وفي مسعى عملي لإحياء نهج الإمام في حياتنا اليومية، لينظم كل واحد منا برنامجاً يومياً لقراءة ما لا يقل عن قول واحد من أقوال الإمام علي عليه السلام، في نهج البلاغة، أو سطر واحد من خطبه ورسائله الرائعة، وأن نعلم أبناءنا أقوال الإمام ليطلعوا على نهجه الرسالي الحضاري، فلا نبقى بعيدين عنه، جاهلين به، الأمر الذي خلق كل هذه الهوة الكبيرة فيما بيننا وبينه.

بقلم: الشيخ حسين الخشن

يـــــوم الـــظـــهـــور

إنّ ظهور الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف خفي في توقيته كخفاء يوم القيامة، وسرعة ظهوره ومفاجأته للناس كسرعة حدوث يوم القيامة.

فقد قيل لرسول الله صلى الله عليه وآله: يا رسول الله متى يخرج القائم من ذريتك؟ فأجاب صلى الله عليه وآله: «مثله مثل الساعة التي لا يجليها لوقتها إلا هو ثقلت في السماوات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة». (عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢/ ٢٦٦)

على المؤمن أن يستعد للظهور كما يستعد ليوم القيامة، بأن لا يتهاون، ولا يقيس زمن الظهور بما يراه من أحداث، ولا يستبعد تسارع الأحداث بشكل كبير بحيث لا تترك له مجالاً للتفكير والاختيار.

فإنّ التسويف وإضاعة الوقت، وطول الأمل بوجود وقت متاح للتصميم والعزم، وعدم الاهتمام بتهيئة النفس للالتحاق بجنده عليه السلام، يُعتبر مهلكة وخسارة عظيمة للإنسان لا يمكن تعويضها.

وقد حذّرنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام من ذلك بقوله: « إِنَّمَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ اثْنَتَيْنِ: اتِّبَاعَ الْهَوَى وَ طُولَ الْأَمَلِ أَمَّا اتِّبَاعُ الْهَوَى فَإِنَّهُ يَصُدُّ عَنِ الْحَقِّ وَ أَمَّا طُولُ الْأَمَلِ فَيُنْسِي الْآخِرَةَ». (الكافي: ٢/ ٣٣٦)

ولا تنظر - رحمك الله - إلى طول زمان الغيبة الكبرى، وما مرّ على من كان قبلنا، فقد أخبرتنا الروايات بأنّ الظهور مرتبط بمجموعة مؤشّرات وعلامات لابدّ من تحققها قبله، وهي عامة لا نستطيع ملاحقتها بالتفصيل، وما كان منها خاصاً فإنّه يحصل بسرعة فائقة، كما جاء في الرواية آنفة الذكر «لا تأتيكم إلا بغتة».

فإذا كان الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف قد أوصى سفيره الرابع والأخير علي بن محمد السمري رضوان الله تعالى عليه بالاستعداد وهو المتوفى عام ٣٢٩هـ، أي مع بداية الغيبة الكبرى، فكيف بنا نحن الذين وصلنا إلى سنة ١٤٣٧هـ وفي زمان تتسارع فيه الأحداث حتى نكاد نشعر بقرب الظهور!

وممّا كتبه إمامنا المهدي عليه السلام لسفيره الرابع قوله: «بسم الله الرحمن الرحيم: يَا عَلِيَّ ابْنَ مُحَمَّدٍ السَّمُرِيَّ أَعْظَمَ اللهُ أَجْرَ إِخْوَانِكَ فِيكَ، فَإِنَّكَ مَيِّتٌ مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ سِتَّةِ أَيَّامٍ، فَاجْمَعْ أَمْرَكَ، وَلاَ تُوصِ إِلَى أَحَدٍ يَقُومُ مَقَامَكَ بَعْدَ وَفَاتِكَ، فَقَدْ وَقَعَتِ الْغَيْبَةُ الثَّانِيَةُ فَلاَ ظُهُورَ إِلاَّ بَعْدَ إِذْنِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَذَلِكَ بَعْدَ طُولِ الأَمَدِ، وَقَسْوَةِ الْقُلُوبِ، وَامْتِلاَءِ الأَرْضِ جَوْرا». (كمال الدين وتمام النعمة: ٢/ ٥١٦)

واعلم أنّ الغيبة الكبرى متلازمة مع اطّلاع الإمام المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف على مجريات الأحداث، فهو حاضر لا نراه؛ ومنتظر للظهور في اللحظة المناسبة، ويعيش قضايانا المختلفة، ويعلم تماماً بأحوالنا، ويعرف أفراد جنده تماماً، وكذلك الكافرين والمعاندين له.

فيجب أن نميّز في عملنا بين حضوره المباشر وغيابه عنّا، فنحن نؤمن بالإسلام، ما يستلزم الطاعة لله عزّ وجل، وهذا مسارُ يتوجّه الإمام الثاني عشر في آخر الزمان عدالة عالمية للإنسانية.

لكننا مسؤولون قبلها وأثناءها وبعدها.

في كتاب وصل إلى الشيخ المفيد رضوان الله تعالى عليه في سنة ٤١٠هـ من الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، ورد التأكيد على محبة الإمام والتقرب منه بالعمل الصالح، وانتظار الظهور بغتة حيث لا ينفع معه توبة بعد ذلك، بسبب تفويت كل الفرص المؤاتية في الوقت المناسب للطاعة والاستقامة.

مما جاء في الكتاب: «نَحْنُ وإِنْ كُنّا نَائِينَ بِمَكانِنا النّائي عَنْ مَساكِنِ الظّالِمينَ حَسَبَ الّذي أَرَاناهُ اللّه تَعالى لَنا مِنَ الصَّلاحِ، وَلِشيعَتِنا الْمُؤْمِنينَ في ذلكَ ما دامَتْ دَوْلَةُ الدُّنْيا لِلْفاسِقينَ، فَإِنّا نُحيطُ عِلْماً بِأَنْبائِكُمْ وَلا يَعْزُبُ عَنّا شَيْءٌ مِنْ أَخْبارِكُمْ، وَمَعْرِفَتُنا بِالذُّلِّ الَّذي أَصابَكُمْ مُذْ جَنَحَ كَثيرٌ مِنْكُمْ إِلى ما كانَ السَّلَفُ الصّالِحُ عَنْهُ شاسِعاً، وَنَبَذُوا الْعَهْدَ الْمَأْخُوذَ وَراءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ، إِنّا غَيْرُ مُهْمِلِينَ لِمُراعاتِكُمْ، وَلا نَاسِينَ لِذِكْرِكُمْ، وَلَوْلا ذلِكَ لَنَزَلَ بِكُمُ اللَّأْواءُ، - الشدّة وضيق المعيشة - وَاصْطَلَمَكُمُ الأَعْداءُ، فَاتَّقُوا اللّه جَلَّ جَلالُهُ، وَظاهِرُونا عَلى انْتِياشِكُمْ - انقاذكم من الهلكة - مِنْ فِتْنَةٍ قَدْ أَنافَتْ عَلَيْكُمْ - طالت عليكم - يَهْلِكُ فيها مَنْ حُمَّ أَجَلُهُ - قرب أجله - وَيُحْمى عَنْها مَنْ أَدْرَكَ أَمَلَهُ، وَهِيَ أَمارَةٌ لأُزُوفِ حَرَكَتِنا - إقتراب حركتنا - وَمُباثَّتِكُمْ بِأَمْرِنا وَنَهْيِنا وَاللّهُ مُتِمُّ نُورِهِ... وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ اعْتَصِمُوا بِالتَّقِيَّةِ مِنْ شَبِّ نارِ الْجاهِلِيَّةِ يُحَشِّشُها - أوقدها وأشعلها - عُصَبٌ أُمَوِيَّةٌ يَهُولُ بِها فِرْقَةً مَهْدِيَّةً، أَنَا زَعيمٌ بِنَجاةِ مَنْ لَمْ يَرُمْ فيها الْمَواطِنَ، وَسَلَكَ فِي الطَّعْنِ مِنْها السُّبُلَ الْمَرْضِيَّةَ، إِذا حَلَّ جُمادَى الأُولى مِنْ سَنَتِكُمْ هذِهِ، فَاعْتَبِرُوا بِما يَحْدُثُ فيهِ وَاسْتَيْقِظُوا مِنْ رَقْدَتِكُمْ لِما يَكُونُ فِي الَّذي يَلِيهِ، سَتَظْهَرُ لَكُمْ مِنَ السَّماءِ آيَةٌ جَلِيَّةٌ - وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلُها بِالسَّوِيَّةِ، وَيَحْدُثُ في أَرْضِ الْمَشْرِقِ ما يَحْزُنُ وَيُقْلِقُ، وَيَغْلِبُ مِنْ بَعْدُ عَلَى الْعِراقِ طَوائِفُ عَنِ الإِسْلامِ، مُرّاقٌ تَضيقُ بِسُوءِ فِعالِهِمْ عَلى أَهْلِهِ الأَرْزاقُ، ثُمَّ تَنْفَرِجُ الْغُمَّةُ مِنْ بَعْدُ بِبَوارِ طاغُوتٍ مِنَ الأَشْرارِ، ثُمَّ يستر يُسَرُّ بهلاكه الْمُتَّقُونَ الأَخْيارُ، وَيَتَّفِقُ لِمُريدي الْحَجِّ مِنَ الآفاقِ ما يُؤَمِّلُونَهُ مِنْهُ عَلى تَوْفيرِ عَلَيْهِ مِنْهُمْ، وَاتِّفاقٍ وَلَنا في تَيْسيرِ حَجِّهِمْ عَلَى الاخْتِيارِ مِنْهُمْ، وَالْوِفاقِ شَأْنٌ يَظْهَرُ عَلى نِظامٍ وَاتِّساقٍ، فَلْيَعْمَلْ كُلُّ امْرِئٍ مِنْكُمْ بِما يَقْرُبُ بِهِ مِنْ مَحَبَّتِنا، وَيَتَجَنَّبُ ما يُدْنِيهِ مِنْ كَراهَتِنا وَسَخَطِنا، فَإِنَّ أَمْرَنا بَغْتَةً فُجاءَةً حِينَ لا تَنْفَعُهُ تَوْبَةٌ، وَلا يُنْجِيهِ مِنْ عِقابِنا نَدَمٌ عَلى حَوْبَةٍ، وَاللّهُ يُلْهِمُكُمُ الرُّشْدَ، وَيَلْطُفُ لَكُمْ فِي التَّوْفيقِ بِرَحْمَتِهِ». (الاحتجاج: ٢ / ٤٩٨)

كلّ شيء في فترة الظهور سريعٌ ومنسجم مع الفجأة التي ذكرتها الروايات، كلّ العلامات المباشرة تحصل في فترة زمنية قياسية، كلّ الجبروت والطغيان الذي نراه على امتداد المعمورة سينهار بسرعة كبيرة؛ وعلى الرغم من تواتر الروايات عن راية الضلال للسفياني وما يفعله من مآس في الأمة، فإنّها تؤكد على سرعة زوال ملكه الذي لا يتجاوز الخمسة عشر شهراً بين خروجه ومقتله وانهياره، فعن ابي عبد الله عليه السلام قال: «السُّفْيانِيُّ مِنَ الْمَحْتُومِ، وَخُرُوجُهُ في رَجَبٍ، وَمِنْ أَوَّلِ خُرُوجِهِ إِلى آخِرِهِ خَمْسَةَ عَشَرَ شَهْراً، سِتَّةُ أَشْهُرٍ يُقاتِلُ فيها، فَإِذا مَلَكَ الْكُوَرَ الْخَمْسَ، مَلَكَ تِسْعَةَ أَشْهُرٍ، وَلَمْ يَزِدْ عَلَيْها يَوْماً». (غيبة النعمان: ٣٠٠)

ألا تلاحظون تسارع الأحداث؟ فقد قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «اعْمَلْ لِدُنْياكَ كَأَنَّكَ تَعيشُ أَبَداً، وَاعْمَلْ لآخِرَتِكَ كَأَنَّكَ تَمُوتُ غَداً». (من لا يحضره الفقيه: ٣/١٥٦)

بقلم: الشيخ نعيم قاسم



لكل شيء قانون

- سبحان الله! فقد وضع لكل شيء قانونه الذي يتناسب معه، فقانون (الثبات) وضع للمكان، وقانون (التحول) وضع للزمان، ولو حدث العكس لكانت الكارثة.

- ترى ماذا يحدث لو أصبحت الجاذبية معكوسة، أو تحولت الشمس إلى كرة من الثلج، أو تجمد الماء مثل الصخر، أو تغير لون الشجر فأصبح أسوداً قاتماً؟ أو تبدلت قوانين الحياة بين عشية وضحاها؟ وماذا يحدث لو كانت الأرض صلدة لا تحرث ولا تزرع. أو كان الإنسان مثبتاً في الأرض كالشجر، لا يستطيع أن يتحرك؟ ترى كيف كانت الحياة، لو لم تكن الأشياء كما هي عليه الآن؟

- ليست نعمة الظلمة، بأقل من نعمة النور، وليست نعمة الليل بأقل من نعمة النهار، وليست نعمة التعب بأقل من نعمة الراحة، وليست نعمة الجوع بأقل من نعمة الشبع، وليست نعمة الحرمان بأقل من نعمة الغنى، وليست نعمة الموت بأقل من نعمة الحياة، إنّ كل ما يأتي من الله جميل.

- تستطيع أن تسخر كل قوى الكون لنفسك، إذا استطعت أن تسخر نفسك لإرادة بارئها.

- أين أعلى العالم؟ وأين أسفله؟ وأين محوره؟ وأين وسطه؟ لا أحد غير بارئه يعلم.

- كل هذا العالم، من فضل ربي.

- عندما تجتمع في عبادة المرء: الطاعة للسيد الكريم، والرهبة من الجبار العظيم، والرغبة إلى الرحمن الرحيم، فإنها تكون حقاً من عبادة المؤمنين.

بقلم: هادي محمد محسن



النجاح في التفكر

هل سبق ولاحظت كيف يعيد التاريخ ذاته؟ ففي أيامنا هذه تجد نفسك في مواقف كثيرة غالباً ما تتشابه مع مواقف اختبرتها في وقت من الأوقات.

ربما تغير المشاركون ومسرح الأحداث إلاّ أنّ الحبكة المرسومة بعناية والمسرحية المثيرة للاهتمام مألوفان تماماً.

ومن خلال كل مشهد تبدأ بتعلم مفاهيم عدة هامة سبق واكتسبتها مرات عدة لكنك لم تنفك تنساها.

ربّما صادفت بعض قواعد الحياة هذه للمرّة الأولى عندما كنت في المدرسة الابتدائية، وعلى الرغم من ذلك فقد اضطررت إلى أن تعيد تعلّمها من وقت إلى آخر أو في بعض الحالات لمرّات أكثر من أن تحصى.

تذكّر أنّك تستطيع حمل خبرات شبابك وإضفاءها على سنواتك المتقدّمة بكل سهولة، فأنت لا تريد أن تبلغ الستين قائلاً: (قريباً أمسك بزمام أموري وأتوقف عن ارتكاب هذا الخطأ الجسيم مراراً وتكراراً).

لذلك علينا أن نركّز على مختلف دروس الحياة التي نتعلّمها معظمنا لكن لسبب غامض لا ننفك نرسل بها على غياهب النسيان.

وأنّ الأمر ليس بذاك الغموض أحياناً فما هو إلاّ مسألة انصياع وراء عواطفنا بدلاً من الرجوع إلى حكمة العقل.

فمن المهم للتنعّم بحياة كاملة وهنيئة وعقلانيّة أن نعرف أي مواقف نتحاشى وأي قواعد نتّبع، إذ يمكن للفشل في الالتزام بدروس الحياة هذه أن يؤثّر جذريّاً على حياتنا.

تزيدنا الخبرة بلا ريب معرفة لكنها لا تقلّل بالضرورة من عدد أخطائنا، فقد كتب ريتشارد باتش، وهو مؤلّف الكتب الأكثر رواجاً (إنّ التعلم اكتشاف ما تعرف، أمّا التنفيذ فهو إثبات ما تعرفه)، أو بمعنى آخر ينبغي التصرف بذكاء لتحويل المعرفة القيّمة إلى حكمة.

فنأمل أن التفكير الصحيح يمنحنا شيئاً من الإدراك العميق بدلاً من مجرّد تذكير بما نعرف.

بقلم: إيرني زيلنسكي

كنية أمير المؤمنين عليه السلام

من أين جاءت كنية أبا تراب للإمام أمير المؤمنين عليه السلام؟

لأمير المؤمنين علي عليه السلام العديد من الكنى، أشهرها أبو الحسن.. وأبو تراب.. ولكن يستوقفنا هنا أمران:

الأول: موقف الحسنين عليهما السلام من الكنية بأبي الحسن، حيث يروى أن علياً عليه السلام قال: «كان الحسن في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله يدعوني أبا الحسين، وكان الحسين يدعوني أبا الحسن؛ ويدعوان رسول الله صلى الله عليه وآله أباهما، فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وآله دعواني بأبيهما. (كشف الغمة:١/١٣٥)

ومعنى ذلك: أنهما عليهما السلام قد عظما ثلاثة أشخاص في آن، فإن دعوتهما رسول الله صلى الله عليه وآله بأبيهما يتضمن تعظيماً له وتكريماً.. ويتضمن أيضاً اعتزازاً بانتسابهما إليه.

ودعوة الحسن علياً عليه السلام: بأبي الحسين، فيه تعظيم لعلي عليه السلام، حيث خوطب بكنيته، وفيه أيضاً تعظيم للحسين عليه السلام، حيث قدَّمه الإمام الحسن عليه السلام على نفسه، ورأى أنه أهل لأن يكتني به من هو مثل علي عليه السلام.

كما أن دعوة الحسين لأبيه بأبي الحسن يفيد التكريم لعلي، وللحسن عليهما السلام معاً.

أبو تراب

ومن الكنى التي أطلقها النبي صلى الله عليه وآله على علي عليه السلام: أبو تراب وكانت أحب الأسماء إلى علي صلوات الله وسلامه عليه. (المعجم الكبير:٦/١٦٧)

وقد كناه النبي صلى الله عليه وآله بهذه الكنية حين وجده راقداً وقد علا جبينه التراب، فقال له ملاطفاً: قم يا أبا تراب. (الغدير:٦/٣٣٧)

وربما يكون من أسباب محبته عليه السلام لهذه الكنية:

١. إن فيها تذكيراً له بأنه مخلوق من التراب، وأن ذلك يشير إلى أن المتوقع منه أن يتواضع لله تبارك وتعالى، وأن يذل بين يديه.

٢. إنها تذكره بمحبة النبي صلى الله عليه وآله، وتودده له، حين أتحفه بهذه الكنية على سبيل الملاطفة، وما تضمنته من رفع الكلفة، وزيادة الألفة.

٣. إنه عليه السلام يستشف من هذه الكنية الممنوحة له، معاني عالية وأسراراً، وحقائق سامية، وتفتح له آفاقاً من التفكر والتبصر، من شأنها أن تزيد من ابتهاجه بهذه الكنية، وتؤكد قيمتها ومغزاها لديه.

٤. إنه عليه السلام كان يعد ذلك له كرامة، ببركة النفس المحمدي. كان التراب يحدثه بما يجري عليه إلى يوم القيامة، وبما جرى. فافهم سراً جليلاً. (الغدير:٦/٣٣٨)

شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية





الإمامة المبكّرة

مما لا شكّ فيه أنّ لأئمة أهل البيت عليهم السلام ومنهم الإمام الجواد فضائل ومناقب كثيرة لا تحصى، ويقيناً أنّ الله تعالى عندما اختارهم للإمامة واصطفاهم لهذه المهمة الرسالية لم يكن غلا بتخطيط ربانّي بعد أن حباهم عزّ وجل من فضله وجعل لهم كمالات تفرّدوا بها وامتازوا بها عمن سواهم وبذلك جعلهم أمناء على وحيه وعزائم أمره وحججاً على خلقه.

كما لم يكن عامل العمر والسنين عائقاً أو شرطاً لحمل هذه المهمة الإلهية.. فكما إن رداء النبوة قد ألقاه الله عزّ وجل على بعض أنبيائه قبل أن يبلغوا الحلم.

فهذا النبي عيسى عليه السلام أصبح في المهد نبياً ويحيى أوتي الحكم صبياً، كذلك كان أئمة أهل البيت، فعليّ عليه الإسلام دعاه النبي إلى الإسلام وهو ما زال فتى صغيراً كما إنّ الإمامة المبكرة بعمر الصبيان ابتدأت من الإمام الجواد وحتى بقية الله الحجة بن الحسن العسكري عجل الله تعالى فرجه الشريف.

لقد ترك الإمام الجواد عليه السلام تراثاً ثراً من العلم والمعرفة وفي شتى العلوم الإسلامية ولم تقف تلك السنين القصيرة بأيامها والطويلة بتأثيرها العميق عائقاً أمام ما أراد إمامنا الجواد أن يوصله إلى الأجيال اللاحقة.

إمامته عليه السلام

روى الثقات من أصحابه وأهل بيته روايات تنص على

إمامته مثل عمه علي بن جعفر الصادق عليه السلام، وصفوان ابن يحيى، ومعمر بن خلاد، وابن أبي نصر البزنطي، والحسين ابن بشار، وغيرهم، ومنها:

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَعْقُوبَ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ هَاشِمٍ، عَنْ أَبِيهِ وَعَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ الْقَاسَانِيِّ جَمِيعاً عَنْ زَكَرِيَّا بْنِ يَحْيَى بْنِ النُّعْمَانِ قَالَ: سَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ يُحَدِّثُ الْحَسَنَ ابْنَ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ فَقَالَ فِي حَدِيثِهِ: لَقَدْ نَصَرَ اللهُ أَبَا الْحَسَنِ الرِّضَا عليه السلام لَمَّا بَغَى عَلَيْهِ إِخْوَتُهُ وَعُمُومَتُهُ وَذَكَرَ حَدِيثاً طَوِيلاً حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَوْلِهِ، فَقُمْتُ وَقَبَضْتُ عَلَى يَدِ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الرِّضَا عليه السلام وَقُلْتُ لَهُ أَشْهَدُ أَنَّكَ إِمَامٌ عِنْدَ اللهِ، فَبَكَى الرِّضَا عليه السلام ثُمَّ قَالَ: «يَا عَمِّ أَلَمْ تَسْمَعْ أَبِي وَهُوَ يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله بِأَبِي ابْنُ خِيَرَةِ الْإِمَاءِ النُّوبِيَّةِ الطَّيِّبَةِ يَكُونُ مِنْ وُلْدِهِ الطَّرِيدُ الشَّرِيدُ الْمَوْتُورُ بِأَبِيهِ وَجَدِّهِ صَاحِبُ الْغَيْبَةِ فَيُقَالُ مَاتَ أَوْ هَلَكَ أَيَّ وَادٍ سَلَكَ»، فَقُلْتُ صَدَقْتَ جُعِلْتُ فِدَاكَ». (الكافي:١/٢٥٩،ح١٤)

وعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَعْقُوبَ أيضاً، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ يَحْيَى قَالَ: قُلْتُ لِلرِّضَا عليه السلام: قَدْ كُنَّا نَسْأَلُكَ قَبْلَ أَنْ يَهَبَ اللهُ لَكَ أَبَا جَعْفَرٍ فَكُنْتَ تَقُولُ يَهَبُ اللهُ لِي غُلَاماً فَقَدْ وَهَبَهُ اللهُ لَكَ وَقَرَّ عُيُونَنَا بِهِ فَلَا أَرَانَا اللهُ يَوْمَكَ فَإِنْ كَانَ كَوْنٌ فَإِلَى مَنْ فَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى أَبِي جَعْفَرٍ وَهُوَ قَائِمٌ بَيْنَ يَدَيْهِ فَقُلْتُ لَهُ جُعِلْتُ فِدَاكَ وَهَذَا ابْنُ ثَلَاثِ سِنِينَ قَالَ: «وَمَا يَضُرُّ مِنْ ذَلِكَ قَدْ قَامَ عِيسَى بِالْحُجَّةِ وَهُوَ ابْنُ أَقَلَّ مِنْ ثَلَاثِ سِنِينَ». (الكافي:١/٢٥٨،ح١٠)

وعنه أيضاً قَالَ سَمِعْتُ الرِّضَا عليه السلام وَذَكَرَ شَيْئاً فَقَالَ: «مَا حَاجَتُكُمْ إِلَى ذَلِكَ هَذَا أَبُو جَعْفَرٍ قَدْ أَجْلَسْتُهُ مَجْلِسِي وَصَيَّرْتُهُ مَكَانِي وَقَالَ إِنَّا أَهْلُ بَيْتٍ يَتَوَارَثُ أَصَاغِرُنَا عَنْ أَكَابِرِنَا الْقُذَّةَ بِالْقُذَّةِ». (إرشاد المفيد:٢/٢٧٦)

وعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ حُكَيْمٍ، عَنِ ابْنِ أَبِي نَصْرٍ قَالَ: قَالَ لِيَ ابْنُ النَّجَاشِيِّ مَنِ الْإِمَامُ بَعْدَ صَاحِبِكَ فَأَشْتَهِي أَنْ تَسْأَلَهُ حَتَّى أَعْلَمَ، فَدَخَلْتُ عَلَى الرِّضَا عليه السلام فَأَخْبَرْتُهُ قَالَ: فَقَالَ لِي: «الْإِمَامُ ابْنِي»، ثُمَّ قَالَ: هَلْ يَتَجَرَّأُ أَحَدٌ أَنْ يَقُولَ ابْنِي وَلَيْسَ لَهُ وَلَدٌ. (الكافي:١/٣٢٠،ح٥)

وعَنْ جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى، عَنْ مَالِكِ بْنِ أَشْيَمَ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ بَشَّارٍ قَالَ: كَتَبَ ابْنُ قِيَامَا إِلَى أَبِي الْحَسَنِ عليه السلام كِتَاباً يَقُولُ فِيهِ: كَيْفَ تَكُونُ إِمَاماً وَلَيْسَ لَكَ وَلَدٌ! فَأَجَابَهُ أَبُو الْحَسَنِ الرِّضَا عليه السلام شِبْهَ الْمُغْضَبِ: «وَمَا عَلَّمَكَ أَنَّهُ لَا يَكُونُ لِي وَلَدٌ، وَاللهِ! لَا تَمْضِي الْأَيَّامُ وَاللَّيَالِي حَتَّى يَرْزُقَنِيَ اللهُ وَلَداً ذَكَراً يُفَرِّقُ بِهِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ». (الكافي:١/٣٢٠،ح٤)

وعَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْخَيْرَانِيِّ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كُنْتُ وَاقِفاً بَيْنَ يَدَيْ أَبِي الْحَسَنِ عليه السلام بِخُرَاسَانَ فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ: يَا سَيِّدِي إِنْ كَانَ كَوْنٌ فَإِلَى مَنْ! قَالَ: «إِلَى أَبِي جَعْفَرٍ ابْنِي»، فَكَأَنَّ الْقَائِلَ اسْتَصْغَرَ سِنَّ أَبِي جَعْفَرٍ فَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ عليه السلام: «إِنَّ اللهَ بَعَثَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولاً نَبِيّاً صَاحِبَ شَرِيعَةٍ مُبْتَدَأَةٍ فِي أَصْغَرَ مِنَ السِّنِّ الَّذِي هُوَ فِيهِ». (إعلام الورى بأعلام الهدى:٣٤٦)



وعَنْ أَحْمَدَ بْنِ مِهْرَانَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ عَبْدِ اللهِ الْقَلَّاءِ، عَنِ الْمُفَضَّلِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: ذَكَرَ أَبُو عَبْدِ اللهِ عليه السلام أَبَا الْحَسَنِ عليه السلام وَهُوَ يَوْمَئِذٍ غُلَامٌ فَقَالَ: «هَذَا الْمَوْلُودُ الَّذِي لَمْ يُولَدْ فِينَا مَوْلُودٌ أَعْظَمُ بَرَكَةً عَلَى شِيعَتِنَا مِنْهُ». (الكافي:١/٣٠٩،ح٨)

علوّ مقامه عليه السلام

كان عليه السلام قد بلغ في كمال العقل والفضل والعلم والحكم والأدب مع صغر سنه منزلة لم يساوه فيها أحد من ذوي السن من السادات وغيرهم في عصره، ولذلك قرّبه المأمون إليه لما رأى من علو رتبته وعظم منزلته في جميع الفضائل، فزوّجه ابنته أم الفضل، وحملها معه إلى المدينة، وكان يعمل على تعظيمه وتوقيره وتبجيله.

وروي عن الريان بن شبيب: لَمَّا أَرَادَ الْمَأْمُونُ أَنْ يُزَوِّجَ ابْنَتَهُ أُمَّ الْفَضْلِ أَبَا جَعْفَرٍ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ عليه السلام بَلَغَ ذَلِكَ الْعَبَّاسِيِّينَ فَغَلُظَ عَلَيْهِمْ وَاسْتَكْبَرُوهُ وَخَافُوا أَنْ يَنْتَهِيَ الْأَمْرُ مَعَهُ إِلَى مَا انْتَهَى مَعَ الرِّضَا عليه السلام فَخَاضُوا فِي ذَلِكَ وَاجْتَمَعَ مِنْهُمْ أَهْلُ بَيْتِهِ الْأَدْنَوْنَ مِنْهُ فَقَالُوا لَهُ: نَنْشُدُكَ اللهَ يَا أَمِيرَ أَنْ تُقِيمَ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ الَّذِي قَدْ عَزَمْتَ عَلَيْهِ مِنْ تَزْوِيجِ ابْنِ الرِّضَا فَإِنَّا نَخَافُ أَنْ يَخْرُجَ بِهِ عَنَّا أَمْرٌ قَدْ مَلَّكَنَاهُ اللهُ وَيُنْزَعَ مِنَّا عِزٌّ قَدْ أَلْبَسَنَاهُ اللهُ وَقَدْ عَرَفْتَ مَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ قَدِيماً وَحَدِيثاً وَمَا كَانَ عَلَيْهِ آباؤنا قبلنا مِنْ تَبْعِيدِهِمْ وَالتَّصْغِيرِ بِهِمْ وَقَدْ كُنَّا فِي وَهْلَةٍ مِنْ عَمَلِكَ مَعَ الرِّضَا مَا عَمِلْتَ حَتَّى كَفَانَا اللهُ الْمُهِمَّ مِنْ ذَلِكَ فَاللهَ اللهَ أَنْ تَرُدَّنَا إِلَى غَمٍّ قَدِ انْحَسَرَ عَنَّا وَاصْرِفْ رَأْيَكَ عَنِ ابْنِ الرِّضَا وَاعْدِلْ إِلَى مَنْ تَرَاهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ يَصْلُحُ لِذَلِكَ دُونَ غَيْرِهِ.

فَقَالَ لَهُمُ الْمَأْمُونُ: أَمَّا مَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ آلِ أَبِي طَالِبٍ فَأَنْتُمْ

السَّـبَبُ فيه وَلَـوْ أَنْصَفْتُمُ الْقَوْمَ لَـكَانَ أَوْلَى بِكُـمْ، وَأَمَّا مَا كَانَ يَفْعَلُـهُ مَنْ كَانَ قَبْلِي بِهِـمْ فَقَدْ كَانَ قَاطِعاً لِلرَّحِم أَعُوذُ بِاللهِ مِنْ ذَلِـكَ وَوَاللهِ مَـا نَدِمْتُ عَلَى مَا كَانَ مِنِّي مِن اسْـتِخْلَافِ الرِّضَا وَلَقَدْ سَـأَلْتُهُ أَنْ يَقُومَ بِالأَمْرِ وَأَنْزِعَهُ عَنْ نَفْسِـي فَأَبَى وَكَانَ أَمْرُ اللهِ قَـدَراً مَقْـدُوراً وَأَمَّـا أَبُو جَعْفَـرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ قَـدِ اخْتَرْتُهُ لِتَبْرِيزِهِ عَلَى كَافَّةِ أَهْلِ الْفَضْلِ فِي الْعِلْمِ وَالْفَضْلِ مَعَ صِغَرِ سِـنِّهِ وَالأُعْجُوبَـةِ فيـهِ بِذَلِكَ وَأَنَا أَرْجُو أَنْ يَظْهَرَ لِلنَّاسِ مَا قَدْ عَرَفْتُهُ مِنْهُ فَيَعْلَمُـوا أَنَّ الرَّأْيَ مَا رَأَيْتُ فيه.



فَقَالُـوا: إِنَّ هَذَا الصَّبِيَّ وَإِنْ رَاقَـكَ مِنْهُ هَدْيُهُ فَإِنَّهُ صَبِيٌّ لَا مَعْرِفَـةَ لَهُ وَلَا فِقْهَ فَأَمْهِلْهُ لِيَتَـأَدَّبَ وَيَتَفَقَّهَ فِي الدِّينِ ثُمَّ اصْنَعْ مَا تَرَاهُ بَعْدَ ذَلِكَ.

فَقَالَ لَهُـمْ وَيْحَكُمْ إِنَّنِـي أَعْرَفُ بِهَـذَا الْفَتَى مِنْكُمْ وَإِنَّ هَـذَا مِنْ أَهْلِ بَيْتٍ عِلْمُهُمْ مِنَ اللهِ وَمَوَادِّهِ وَإِلْهَامِهِ لَمْ يَزَلْ آبَاؤُهُ أَغْنِيَاءَ فِي عِلْمِ الدِّينِ وَالأَدَبِ عَنِ الرَّعَايَا النَّاقِصَـةِ عَنْ حَـدِّ الْكَمَالِ فَـإِنْ شِـئْتُمْ فَامْتَحِنُوا أَبَا جَعْفَرٍ بِمَا يَتَبَـيَّنُ لَكُمْ بِهِ مَا وَصَفْتُ مِنْ حَالِهِ. قَالُوا لَهُ قَدْ رَضِينَا يَا أَمِير.(إرشاد المفيد:٢/٢٨١-٢٨٢)

فخرجـوا واتّفـق رأيهـم علـى أن يحيـى بـن أكثم قاضي زمانهم يسـأله مسـألة فأجابهـم المأمون إلى ذلـك، وبعد أن تم ذلـك اللقاء المرتقـب ثبت للجميع أعلميـة الإمام الجواد عليه السـلام على صغر سـنه ولم يستطع يحيى بن أكثم أن يجاريه في تلك المناظرة المعروفـة؛ إذ تحيّر وبـان في وجهه العجـز الانقطاع، وتلجلـج حتى عرف أهل المجلـس أمره.

فأقبـل المأمون على من حضره مـن أهل بيته وقال: ويحكم، إن أهل هذا البيت خصوا من الخلق بما ترون من الفضل، لأنّ صغر السن فيهم لا يمنعهم من الكمال، أمـا علمتم أن رسـول الله صلـى الله عليـه وآله افتتح دعوته بدعاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وهو ابن عشر سـنين، وقبل منه الإسلام، وحكم الله له به، ولم يدعُ أحداً في سـنه غيره، وبايع الحسن والحسين عليهما السلام وهما ابنا دون السـت سنين ولم يبايع صبي غيرهما، فإنهم ذرية بعضها من بعض، يجري لآخرهم ما يجري لأولهم.

قالـوا: صدقت.. ثـم نهض القـوم، ولما انصـرف أبو جعفر عليهـا لسـلام مـن عند المأمـون ببغـداد ومعـه أم الفضل إلى المدينة، صار إلى شـارع باب الكوفة والناس يشيعونه، فانتهى إلى دار المسـيب عند مغيب الشمس، فنزل ودخل المسجد، وكان في صحنـه نبقـة لم تحمل بعـد، فدعا بكوز فيه مـاء فتوضأ في أصل النبقة وقام وصلى بالناس صلاة المغرب، فقرأ في الأولى (بالحمـد) و(إذا جاء نصر الله) وفي الثانية (بالحمد) و(قل هـو الله أحـد) وقنت قبل الركوع، وجلس بعد التسـليم هنيهة يذكـر الله تعـالى، وقـام من غير تعقيـب فصلـى النوافل أربع ركعات، وعقب بعدها وسـجد سـجدتي الشـكر ثـم خرج، فلما انتهى على النبقة رآها النـاس وقد حملت حملاً كثيراً حسـناً، فتعجبوا مـن ذلك، فأكلوا منها فوجدوه نبقـاً حلواً لا عجم له، ومضى عليه السـلام إلى المدينة.(إرشـاد المفيد:٢/٢٨٨)

ولم يـزل بهـا حتـى أشـخصه المعتصـم إلى بغـداد في أول السـنة مائتين وعشـرين، فأقام بها حتى تـوفي آخر ذي القعدة ومضى عليه السلام مسموماً وهو في ريعان شبابه عليه السلام.

حقيقة العلاقة بين الإمام الجواد عليه السلام والمأمون

بالرغـم من تقريـب المأمون العباسـي لمقام الإمـام الجواد عليه السـلام وتعظيمه إيـاه، إلاّ أنّه كان في حقيقة الأمر يضمر شـيئاً غير الذي يبديه ولعل ذلك يعود للأسـباب الآتية:

١. لقد كان الإمام الجواد عليه السـلام هو الوارث الحقيقي لخط الإمامة الذي رسـمه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مـن بعده، فقـد كان المأمون يدرك ذلك في قرارة نفسـه ويعلم أنـه القائد الشـرعي للأمة الإسـلامية كما أخـبره بذلك أبوه هارون عندما سأله مستغرباً عن سبب احترامه وتوقيره للإمام الكاظم عليه السـلام فأفهمه بأن هؤلاء هم خلفاء الرسـول في قيادة الأمة شـرعاً وأنّهم ملكوا القلـوب بعلمهم وإمامتهم وهو (أي هارون العباسـي) القائد والملك بالغلبة والقهر.

٢. بسـبب مـا تقـدم فـإن المأمـون أراد بهـذا التقريب ومن خلال تزويجه ابنته أم الفضل للإمام أن يضفي بعض الشرعية لحكمـه ضمـن تخطيطـه السياسـي ليسـتقطب الأمـة حوله، ومحاولة كسـب الجماهـير الموالية لأهل البيت عليهم السـلام مـن خلال إظهار موالاتـه وتوقيره للإمام عليه السـلام.

٣. إعـادة المحاولـة بتكـرار مـا فعله سـابقاً مع أبيـه الإمام الرضا مـن تقريبه بلاط الحكـم لأهداف سياسـية بحتة.

٤. اعتقد المأمون بأنه سـيتمكن من اسـتمالة الإمام الجواد عليه السلام لإبعاده عن مهام الإمامة الرسالية.

٥. محاولـة التغطيـة علـى جريمة اغتيالـه للإمـام الرضا عليه السلام.

٦. محاولـة مراقبة الإمـام الجواد عليه السـلام عن طريق ابنته أم الفضل.



الـــــدعــــــاء معناه وفوائده

الدعـوة (بالفتـح) إلى الطعـام، والدعـوة (بالكسـر) في النسـب، دعـاه: صاح به واسـتدعاه ودعوتُ الله لـه وعليه أدعوه دعاءً. (العـين:٢/٢٢١)

وأصل الدعـاء طلب الفعل دعا يدعو وادّعـى ادّعاءً لأنّه يدعو إلى مذهب من غير دليل.

وتداعى البناء يدعو بعضه بعضاً على السقوط، وفي التنزيل العزيز: ﴿ تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى ﴾. (المعارج:١٧)

أي يأخذه بالعذاب كأنّه يدعوه إليه. (الفروق اللغوية:٣)

ودعـوت فلانـاً وبفـلان: ناديتُـه وصحتُ به. (لسـان العـرب: ١٤/ ٢٥٨)

والدعـوة: المـرة الواحـدة، والدعـاء أيضـاً: واحـد الأدعية. (العـين:٢/٢٢١)

والدعـاء: طلب الالتفـات بالنداء، ولذلك عرفـوا النداء بأنّه: (دعاء المخاطب ليصغي إليك). (شرح جمل الزجاجي:٢/٥٤٠)

فالدعاء - إذن - قائم على عنصرين: القول والنداء بقصد.

فالدعاء الـكلام الموجه لله تعالى حصراً يطلب فيه العبد من ربّه القبـول والغفران والحاجة لأمر ذي بـال، وطلب القبول هنا معتمد على توجه العبد وتخصيص للرب. (مفتاح الفلاح:٢٠٧)

والدعاء هنا السؤال من الله بالإجابة لقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾. (غافر:٦٠)

وأنواعـه الدعاء بالخير أو بالشـر للسـائل ولغـيره أو عليه وعلى غيره.

وللدعـاء عند علمـاء الاصطلاح معان متعـددة فهو في عرف علماء البيان: (كلامٌ إنشائي، دالٌ على الطلب مع خضوع، ويسمى سؤالاً أيضاً، صرّح بذلك في شرح المطالع كما في العضدي من أنه طلب الفعل مع التسـفّل والخضوع، فقـد أراد الطلب الدال عليه، وقـد جاء إطلاق الطلب علـى الكلام أيضـاً... وعلى هذا يحمل مـا وقـع في الأصول مـن أن الدعاء طلب الفعل مـع مزيد تضرّع ليخرج الالتماسـ العرفي). (كشاف اصطلاح الفنون:٢/١٣٠)

أمـا الدعـاء عند المشـرعة والفقهـاء فهو: (الطـلب من الله والرغبـة فيما عنده من الخير). (تفسـير التبيـان:٢/١٣٠)

أو هـو: (دعوت الله أدعوه دعاءً ابتهلت إليه بالسـؤال ورغبت فيما عنده من الخير). (المصباح المنير:١/١٩٤)

وعلـى الرغم مـن أنّ هذا الدعـاء بهذه الصورة دعاء يسـير على اللسـان سـهل المران والإبانة، لكنّه يبعد عن الدعاء لغة أنّه متخصص من ناحيتين:

الأولى: هي أنّه طلب من الله تعالى خاصة.

والثانية: هي أنّه رغبة في الخير خاصة دون الرغبات الأخر.

فيما عرّفه آخرون بأنّه: (الرغبة إلى الله تعالى وطلب الرحمة منه على وجه الاستكانة والخضوع). (مفتاح الفلاح:٢٠٤)

واشـتراط الاسـتكانة هنا والابتداء بالرغبة أولى مما تقدم، إذ إنّ الرغبة أولى بالتقدم من الطلب، وقد تكون للرغبة هنا معان يحتملها مضمون الرغبة أكثر من مظاهرها، بما يكمن في الرغبة من أحاسيس ومشاعر لها أهميتها في الدعاء.

ويعرفـه غيرهم بأنّه: (إقبـال العبد علـى الله، والإقبال على الله هـو روح العبـادة، والعبادة هـي الغاية من خلق الإنسـان). (الدعـاء عند أهل البيت عليهم السـلام١٣)

ذلـك أنّ هـذا الإقبـال علـى الله والانجـذاب نحـوه يـبرز الانشـداد والاطمئنـان والارتبـاط بـه سـبحانه ولا يوجـد في العبـادات عبادة تقرب الإنسـان إلى الله أكثر مـن الدعاء قال الإمـام جعفر الصادق عليه السـلام: «عَلَيْكُمْ بِالدُّعَاءِ فَإِنَّكُمْ لاَ تَقَرَّبُـونَ بِمِثْلِـهِ وَلاَ تَتْرُكُـوا صَغِـيرَةً لِصِغَرِهَا أَنْ تَدْعُـوا بِهَا إِنَّ صَاحِـبَ الصِّغَـارِ هُوَ صَاحِـبُ الْكِبَارِ». (الـكافي:٢/٤٦٧، ح٦)

علـى أنّ الدعـاء يبقى (أهم ما يسـتطيع الإنسـان أن يقدّمه مـن أجل الخلاص ومـن أجـل إقامـة علاقـة قويّة مـع الربّ تبـارك وتعالى تقـوده إلى التكامل المنشود). (شـرح دعاء كميل للأنصاريـان:٣٩٤)

لأنّـه الرابط بين العبد وربّه وأنّه السـببُ المتينُ الذي به يتعلّق العباد للاتصال به سبحانه وللتقرّب منه قال أمير المؤمنين علي عليه السـلام موضّحاً هذا المعنى: «أَوْثَقُ سَـبَبٍ أَخَذْتَ بِهِ سَـبَبٌ بَيْنَكَ وَبَـيْنَ اللَّهِ». (عيون الحكم:١١٥)

بقلم: محمد جليل عباس



الاستعداد للسفر

لو قال أحد موظفي الخدمة في أحد المطارات لنا: أريد أن أقول لكم أمراً مهماً: هنالك طائرتان سوف تنطلقان في نفس الوقت بالتعاقب، إلى نفس البلد الذي نحن متوجهون إليه.. الأولى قديمة الطراز، ومحالة عن الخدمة تقريباً، فمعظم الأجهزة فيها عاطلة!! ولا تعطي عدّاداتها قراءات صحيحة!!

أما الطائرة الثانية فحديثة، وفيها كل وسائل الراحة والأمان، وقائدها قدير وخبير بالطيران!!

ففي أيهما سوف تركبون؟!

نحن نعلم أن الجواب بديهي ومنطقي سيكون الطائرة الثانية.

فمن غير المعقول أن يجازف المرء ولو بنسبة واحد بالمائة في أمر خطير كهذا!!!

سؤالي هو: ماذا سيفعل المرء برحلته المصيرية؟ وسفره الأبدي (سفر الآخرة)، فهل سيجازف ويغامر فيها؟!

إن كل عمل يؤديه الإنسان لابد أن تكون هناك استعدادات مسبقة له، فالطالب إذا أراد أن ينجح أو يكون ذا مكانة اجتماعية مرموقة، عليه أن يقرأ ويدرس ويثابر، ليكون كذلك.

والمرء إذا أراد أن يصلي فهناك استعدادات تسبق الصلاة؛ كالطهارة ودخول الوقت ومعرفة القبلة...

والإنسان إذا أراد أن يأكل أكلة معينة، فعليه أن يهيئ لوازم الطهي، من طعامها إلى إدامها.

وإذا أراد شخص ما أن يسافر فعليه أن يستعد لذلك السفر، داخلياً كان أم خارجياً، قريباً أو بعيداً، فعليه أن يجهّز نفسه ويهيئ الوسائل التي يحتاجها في السفر، وفي المسكن الذي سيسكنه عند وصوله إلى المقصد.

فعليه أن يهيئ الواسطة من نقودها إلى وقودها، والثاني من جواز السفر إلى مصاحبة النفر، ناهيك عن الملبس والمأكل والمتاع!!

فكيف إذا كان مكان السفر بعيداً جداً، ولم نسافر له من قبل ولا رجعة منه!

والعقبة كؤود، والمكان مجهول (العالم الآخر)، ولم يأتنا أحد منه ليخبرنا بما لاقاه وشاهده!!

يقول المتنبي:

المـوت تعـرف بالصفـات طباعـه

لم نـلـق خلقـاً ذاق موتـاً آيبـا

فالحال هنا عسير والأمر خطير، والقضية ليست قضية مركبة (سيارة)، حدثت مشكلة في أحد إطاراتها!!

ومن الممكن أن نقف لنستبدله بالاحتياطي، أو الوقود شارف على النفاد، فنتوقف عند أول محطة للتزود به.

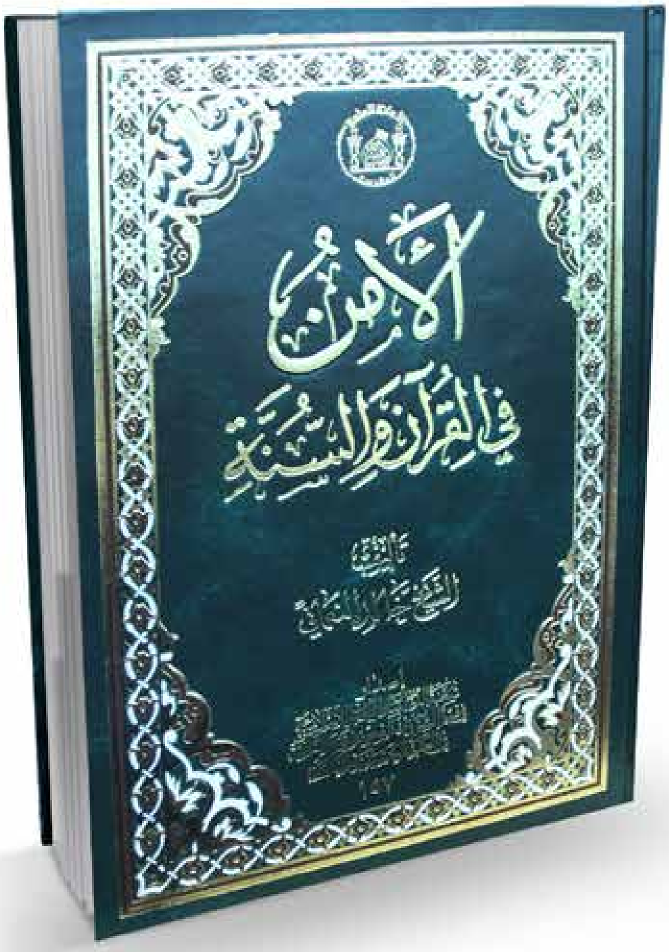
لا وألف لا.. فالأمر أشد وأصعب من ذلك، لذا فلتكن استعداداتك متكاملة، وجاهزاً لذلك السفر المفاجئ.

يقول إمامنا الحسن بن علي عليهما السلام: «استعد لسفرك وحصّل زادك قبل حلول أجلك».(بحار الأنوار: ٢٤/ ١٣٩)

فلا تغادر إلا ومعك صلاتك وصومك وحجك وبرك بوالديك وإحسانك، فكل ذلك ستحتاجه في سفرك هذا، فكن مستعداً!!!

بقلم: الشيخ علي السعيدي

صدر حديثاً عن قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبــــة الحسينـيـــة المقدســـــة



للحصول على النسخة
الرقميــــة للمجلــة
امســح هذا الكـــود

■ تعلن إدارة مجلة الوارث عن البدء في استقبال البحوث والمقالات العلمية والإسلامية لنشرها ضمن أعداد المجلة القادمة، علماً أن المقالات ستخضع للتقييم العلمي.

يرجى ارسال الاعمال على البريد الالكتروني التالي:
info@imamhussain-lib.org